

٧

كنوز عبير الجديدة

إيتا جولدرينك

عاصفة الحب



www.elromancia.com

مرمورية

كنوز عيب الجديدة

عاصفة الحب

عاشت مادلين طفولة محرومة من أبويها الراحلين؛ وتولت عمها ماري رعايتها حتى أصبحت فتاة مستقلة تعمل مندوبة لبيع العقارات في القسم الفرنسي من كندا؛ ولم تتخلى عن عشقها للرياضة وخاصة الكارتيه، وإحساسها بذاتها وإعتزازها الفائق بقدراتها لم تلتفت طيلة حياتها لمحاولات كثير من الشبان ورفضت عدد لا بأس به من مشاريع الزواج.

في الحقيقة لم تشعر مادلين بأى نقص، رغم سنوات عمرها السبعة والعشرين، إلا أن العمه العجوز غرست داخلها إحساس بكونها صارت عانس!!

فجأة يقيم جار جديد غامض، السيد جويل فيرمونت، وتصطدم به فى الليلة الأولى لمجيئه، وتفسد له حفلته حتى تتخلص من الضوضاء لتتعم العمه بنومها.



الفصل الأول

لقاء فى الظلام

ثمانى درجات ملتوية من سلم خشبى تقود إلى أعلى الشرفة الخلفية للمنزل المجاور لمنزها، وعلى مسافة تقل عن مائة قدم هناك منزلين بطابعهما المميز للعمارة القوطية، كشواهد وأطلال تذكر بالقرن الماضى فى لاكونيا ونيوها جشاير. صعدت مادلين تلك الدرجات الثمانية وسط حلقة الظلام الدامس الساعة الثانية، وهى منحنية الرأس، قلبها يدق بعنف يكاد يحطم صدرها غضباً عندما إصطدمت رأسها عفواً، صعودها السلم مسألة صعبة عليها، مادلين كاربينيو الفتاة فارعة الطول، والممتلئة الجسد؛ وعندما أحنى رأسها لتستقر مصطدمة بباطن شخص واقف بالشرفة، وصاح ذعراً وسقط على ظهره؛ لتتمدد قامته الفارعة وتسقط هى الأخرى فوق حجره، وطوقها بذراعه وصوته الأجلش يهدد فى أذنها: «حسناً، لا أعرف ما أمسكت به، أى نوع من الطيور أنت، يا حلوة؟».

حاولت مادلين إلتقاط أنفاسها؛ وقالت لنفسها أكانت كل الدروس التى تعلمتها فى الكارتيه بلا هدف، وبإستدارة سريعة ودفعة طرحته على ظهره، وقفزت لتقف معتدلة على

قدمها وهي تنظر إليه وتحول الخوف المفاجيء إلى غضب .

لم يلق حتى بسيجارته المشتعلة ؛ كان طرفها يضيء في الظلام ؛ وبكل رشاقة ومهارة الرياضى وقف ؛ وإعتدلت هي لتقف في وضع دفاعى وكلتا يديها مشرعتان تجاهه ، ولعلت نهاية السيجارة وهو يقول «هيه .. إنتظرى ؛ سأقلع عنها بشرفى !!» وقذف بالسيجارة ، وإعتدلت مادلين بقامتها الفارعة ، عاجزة عن التركيز ، وإستغربت أن صوته يأتيا من علو يفوق قامتها الطويلة ، وهي الفتاة التى أمضت نصف حياتها تتهادى فى مشيتها لتجرح ذاتية ونرجسية الرجل ؛ الآن يفاجئها هذا بتفوقه عليها ، وحاولت إستعادة إنزائها وقالت له : «تقلع عن ماذا؟» لم يكن السؤال الذى تريده ؛ بل خرجت الكلمات منها دون قصد محدد ، وأجابها «التدخين !، إنها عادة قبيحة ؛ دعينى أقول لك ، هذه الليلة هى ليلتى للإقلاع عن أشياء كثيرة ، وتغيير وجهتى فى الحياة ؛ فضلاً عن رغبتى فى الإقلاع عن الحياة ذاتها حتى لا أتعرض إلى لكلمات تلك اليد المشرعة فى وجهى ، إنظرى إلى حجم يدك !!» .

لم تتبين ملامحه بوضوح فى ضوء القمر ، أو تفهم غرضه ، وقالت : «لن أضربك ، وأنا لا أطارد الناس لأضربهم - بدون سبب قوى ، هذا ما فى الأمر ، حسناً ، الحفلة بأصواتها الصاخبة مزعجة جداً ، كما تعرف ، وعمتى بعمرها الخامس والثمانين بحاجة للنوم ؛ ولقد حذرنا الجيران بأن نيوهايشاير يجب أن تحتفظ بهدونها !» .

«أهى هادئة فعلاً؟» وأطلق تنهيدة قوية من صدره العريض ، كانت لهجته تقطر أسى ، كما فهمت مادلين ، كيف ذلك وهو واحد من القطيع كما إعتادت أن تقول ؛ وتراجعت

نصف خطوة للوراء عندما إقترب منها ؛ وفى ضوء القمر الشاحب لمحت صورته كشبح ، قيصه الأبيض ، رباط عنق أسود ، چاكت أسود ، وقامة فارعة أطول منها بخمسة أو ستة أقدام ، وشعر أشقر غزير ، وشعرت بجاذبية مغناطيسية لاتدرى سببها إستقرت فى قلبها نحوه ، وغمغمت «أنا ... عمتى ماري ، عجوز جداً ؛ لاتستطيع النوم وسط هذا الضجيج ، وأنا لا أستطيع أن أعمل ! هل تعلم من ... ؟» .

إتبعث صوته المجلجل من الظلام «من الذى يقيم الحفلة؟ جويل فيرمونت ، هذا إسمه ، أخطأ يفعله؟ أليس كذلك؟ أى إنسان يقيم حفلة يجب أن يدعو جيرانه جميعاً حتى لا يستدعوا له الشرطة» .

«هل تعرف هذا السيد فيرمونت؟» .

«مثل أخ ؛ ولست مضطراً للتجول للإعتراف بذلك ، كما تعرفين» .

«بإمكانى فهم السبب ، لكن يجب أن أعترض من أجل عمتى ، كما تفهم ، أى نوع من الرجال هو؟» .

«أى نوع؟ صعب أن أقول ، رجل رفيع مثل مثل شباب بوستون ، ربما تفهمين شيئاً ، المال مال كثير ، ولو أنه لم يكون مليماً بنفسه ، كما تفهمين ، ماذا عنك؟» .

«بخصوص ماذا؟» .

«ماذا تعملين؟ طبيبة؟ محامية؟ مهندسة ديكور؟ مدرسة؟» .

«لا شىء من ذلك؟ بائعة عقارات .. أين تظنين أجد فيرمونت؟» .

«بائعة عقارات؟ عظيم! لو كان يتهمك ويسخر من

مادلين، لا تدرى حقيقة قصده «هو يتجول في مكان ما»
وخطا خطوة أخرى مقرباً منها «أنا سعيد جداً بأنك لا تفعلين
هذا أبداً».

أخفضت رأسها، وذهنا مرتبكاً، وتساءلت هل وقعت في
منزل مجانين؟

أضاف «أنك لا تضربين الناس أبداً...».

قاطعت «بدون سبب قوى» شعرت بحاجة مفاجئة للدفاع،
وعقلها متحضر حذراً، هذا الرجل نمر في قفص يحاول تحطيم
القفصان! إنتبهي يا مادلين!

«كما تقولين، دائماً واجهت متاعب».

«أية متاعب؛ والآن ماذا عن السيد فيرمونت».

تجاهل سؤالها «دائماً واجهت متاعب بسبب ضخامة
حجمي؛ في المدرسة الثانوية كان التلاميذ يتقافزون حولي،
وكانت أمي تقول دائماً أن القوة ليست هي الجمل!! هاها!!
ماذا كانت تعرف عن الحياة في بلاد الأقرام؟» وتمدد للحظة
وشعرت بمضلاته ومفاصله. وهي تفرقع تحت قبضه وأنها
كلامه «إمضى لحالك».

«يا إلهي، أنا إمراة ذكية، حاصلة على شهادة جامعية
أتردد على الكنيسة بانتظام - حسناً، غالباً، أتحدث ثلاث
لغات، لماذا لا أفهمك؟ هل أنت - مشوش؟».

«لست مشوشاً، ربما مسرور جداً، لكنني لست مشوشاً
أبداً، إمضى لحالك».

«خلال ثلاثين ثانية إن لم تبعد عن طريقى،
سأضربك!».

أهكذا، الآن أصبح لديك السبب القوي، هيا يا فتاة».

«إستمر ثم أضربك؟» تحولت قلقاً، هي فتاة قوية، وهو
أقوى منها، أطول منها، ورغم حقيقة أنها تتدرب على الكارتيه
مرتين إسبوعياً، لكن ضرب الناس ليس وظيفتها؛ لكن طالما
هو مصمماً -

خلع جاكته «هيا إضربيني» رمى بها على درابزين
الشرفة؛ وشرع ذراعيه، همست هي «إذن تمام» وهي تكز
أسنانها «أنت الذي طلبت!» وقالت لنفسها، ربما أستريح من
إحباطي، وهي تتفحص الوضع، وجدته ضم يديه معاً في
حركة دفاعية من حركات الكارتيه، إذن لن أستخدم
الكارتيه، قالت لنفسها، وضمت قبضة يدها اليمنى وطوحت
بها لتلكم لكمة خطافية في جانب صدغه.

سواء كان غموراً أو يقظاً، قادر على رؤيتها أو عاجزاً
بسبب الظلام؛ إلا أن رد فعله فاجئها بدلاً من رفع يده
للإمساك بقبضتها أو التراجع لتجنب القبضة، إندفع للإمام حتى
صارت كأنها في تجويف شجرة ضخمة، ويده اليمنى تمسك
بخناق عناقها بشدة، واليد اليسرى حول خصرها، وغمغم
«سترين؟» كانت عاجزة عن الحركة أو الرد، ربما تأثير سحر
الليل أو تعب اليوم كله الذي عجل بسريان الخدر في
أعصابها، وربما تأثير النجوم، وأصل كلامه بهدوء «إذن لو
كانت فتاة وأرادت أن تقاقل، سا...».

قاطعت «أنا لا أقاتلك، من فضلك أنا لا أقاتلك!».

همس «فات الأوان، إنه مجرد رد فعل» عندما فتحت فيها
لتحتج، كانت شفتاه قد أطبقت عليها، كان مذاق قبلته مزيج
لا تستطيع تحديده؛ سرى إحساس بالإثارة خدر أحاسيسها،
للحظة إنطلق إنذار تحفظ وتحذير داخلها، ثم أطبق السكون؛

هذا إحساس لم تجربه من قبل، وهو يحتضنها، تعلقت بكتفيه، عاجزة عن جعل قدميها تحملانها، عندما رفع يديه عنها مبتعداً، للحظة ظلت مستندة على جسده القوى تحاول التقاط أنفاسها، وهي تفتح عينيها الغائمتين، كان هو أيضاً يحاول التقاط أنفاسه، وبسرعة إستندت بجسدها على سور الشرفة، ويحرق كل منها في الآخر وساد الصمت لحظة حتى قطع حبله «حسناً!! لم أشعر أبداً بمثل هذه الإستجابة!».

وهي تزار في وجهه «ولن تشعر بها أبداً مرة أخرى؛ لقد جئت هنا لأعبر بأدب عن شكواي وأنت.. أهنتني!».

«يجب أن اعترف أنني إستمتعت بتلك القبلة» كانت لهجته بها نغمة الغطرسة والغرور الرجالي الذي تكرهه كثيراً؛ وأرادت أن تفجر تلك البالونة الفارغة.

«قالت بهدوء: «أنا تذكرني بشيء حدث لي، عندما كنت في الثامنة من عمري ولعقتني بقرة على وجهي!، أعتقد أنك وتلك البقرة جئتا من مدرسة واحدة!!».

إرتفعت حواجبه في دهشة «هل فقدت إحساس؟ بعد كل تلك السنين من مطاردة الفتيات أصبح منبوذاً؟».

«لا، لا إنتظري!-» بدأت الإحتجاج بينما هو يطوقها بذراعيه، وبنفس الإسلوب؛ وعادت لتستند إلى سور الشرفة، ويدها ترتعش فوق شفيتها ووعيها مشتت، وتتساءل ماذا تفعل؟ فهي الآن مستعدة للركوع وتقبيل قدميه؟ الرجل خطير!!

سألها قلقاً «أهذا أفضل، أم أنك تفضلين أسلوباً آخر؟».

وهي تبتعد عنه «لا، لا، أفهم أنك ربما كنت ناجحاً جداً وأنت صغير» خطأ ناحيتها وأصافت «ومازلت، أفترض ذلك».

إكتمل ضوء القمر بينما غطى وجهه شعور بالرضى عن النفس «دائماً أريد إرضاء زبائني».

كانت تريد مقاطعته، كانت الكلمات على طرف لسانها، لكن ضوء القمر أغرقها في عالم من الأحلام، كانت في غاية الإثارة، والإفتتان، وإنهمرت دموعها على خديها، ووضع إصبعه تحت ذقنها ورفع له لأعلى، حدقت في وجهه وتنهدت وهي تقول: «أظن الأفضل أن أذهب لحالي لأشتكي للسيد فيرمونت من الضوضاء» وبدأت تسوى شعرها للخلف، وقال لها: «شعرك جميل» ولمسه بيده، ردت هي «أنت لاتعرف حتى لونه» وكشفت في وجهها «تحاولين إصطياد مديحي له؟».

«لا، طبعاً» وكانت غارقة في فكرة أنها الليلة كانت صيداً سهلاً لسحر القمر، دون أن تدري لماذا!

قال: «شعرك حريري بنى» وهو يرفع خصلة منه فوق رأسها، كان صوته شبيهاً بصوت كلومبوس عندما أعلن إكتشافه لأمریکا!!

إرتعشت مادلين بخدر السعادة، وسألها «لماذا تريدين مقابلة جويل فيرمونت، يمكنني القيام بما سيفعل- ربما أفضل منه» كان وجهه مضىء بإبتسامة، ويدها تحاول الوصول إليها صاحت «لا! السيد فيرمونت أين ألقاه؟».

عقد ذراعيه حول صدره وقال: «إضربيني يا سيدتي» إرتدت على عقبها متجهة إلى المنزل تاركة إياه بمفرده تحت ضوء القمر؛ ولتأكد من صدق كلمته، هكذا قالت لنفسها، ها هو يشعل سيجارة أخرى.

عندما عادت للمنزل سمعت الضوضاء تحترق أذنيها؛ كان شخص يفتح جهاز ستريو بأعلى الصوت؛ وعندما أسندت

مادلين رأسها على حائط المطبخ شعرت وكأنه يهتز تحت تأثير الأصوات الشديدة؛ بشجاعة قدرها ضئيل فتحت باب المطبخ ودخلت غرفة المعيشة.

رأت ما يقرب من عشرين زوجاً يزدحم بهم الصالون، ربما كلمة «زوجين» ليست الكلمة الصحيحة. كان هناك مجموعتين متميزتين. إحداها غير نظيفة شعرها طويل مسترسل، ترتدى الجينز، والأخرى ترتدى ملابس السهرة، وشاهدت مشهداً شاذاً مذهلاً، تحت عتبة السلم الخشبي تقف امرأة رأسها مغطى بمظلة الصباح وشبه عارية إلا من قطعة واحدة، وتحت قدمها يركع شاب ملتحي يرسم مشهد الغروب فوق بطنها المستديرة، وجعل سرتها هي الشمس، كان يرسم وهو يتباهى بمهارته الواضحة، ولم يكن رسمه رديئاً.

تجنبت مادلين هذا الزوج باهتمام!!، لاكونيا غير بعيدة عن بوسطن، لكنها تختلف عنها كثيراً في عاداتها الاجتماعية وتقاليدها، كانت الأحاديث تشبه الصراخ حتى تغلب على صوت الستريو العالي؛ حتى تكاد تخرق الأذن. وكانت مادلين لا تعرف من هو الذي ستحدث إليه؛ وشقت طريقها إلى وسط الغرفة ثم التفتت باحثة عن أى شخص مازال محتفظاً بوعيه ولحمت رجلاً كبيراً، ربما فى العقد الرابع من عمره، مرتدياً بدلة ورابطة عنق وأمامه كأسين من شراب ما، كان طويل القامة ممتلئاً، وقبل أن تبادره بأى كلمة إتجه إليها صائحاً «أنت هنا يا عزيزتى» وقدم لها كأساً تناولته مبتسمة، وبإيماء شكرته، كان ودوداً، وربما مستيقظ الرعى! ومهما كان مافى الكأس، إلا أنها لم تستسغه وكحت وبحثت عن منديلها لتجفف عيونها؛ ووضعت الكأس جانباً، ونظر الرجل قائلاً: «لا يروق لك؟»

هزت رأسها وكحت مرة أخرى، مرت أمامها امرأة حاملة كأسين بهم شراب أبيض نقي، تناولت أحدهما وتذوقته وعرفت أنه شمبانيا أمريكية، وإلتقت لتحديثه وبصوت مرتفع صاحت «عمتى الكبيرة تريد أن تنام!» وأشارت من النافذة ناحية منزلهم.

بينما توقف جهاز الستريو لتغيير شرائط الموسيقى أجابها «لا، لا أريد أن أنام مع عمتك، طلبت من الوكالة أن ترسلك أنت!!».

جذب معصمها وبدأ يسحبها ناحية السلم، وسط تشجيع الحضور غير العابث؛ تشبثت مادلين بقدمها واحتجت «أظنك فهمت خطأ» وتعالق تعليقات الحضور؛ بعضهم قال أن الخجل إعتراها؛ وشل قدمها؛ وأجابه الرجل «إنظري لقد دفعت الفاتورة للوكالة؛ إذن لا حاجة لإمتناعك عن أداء دورك!!».

وهي تكز أسنانها قالت: «إترك يدي وإلا أبلغت البوليس».

«يا إلهى أنت فوق السادسة عشر، أليس كذلك؟» وإقترب بيده من صدرها وإنفجرت غضباً؛ وبجركة إلتفاف مباغتة لوت معصمه مبتعدة عنه وجذبته ناحيتها ثم طوحته لتطرحه أرضاً، ليسقط وسط مجموعة من الحاضرين ككرة مضرب، وتحول التشجيع إلى صراخ وتزاحوا للإبتعاد، وقف الرجل الضخم فوق الأرض، وإتجه ناحيتها، تلفتت مادلين سريعاً عبر أرجاء الغرفة ولحمت موضع أجهزة الستريو فى أحد الأركان عندما إقترب منها؛ فاتحاً ذراعيه لينقض عليها وتركته يدفعها للخلف وهي ممسكة بياقة قميصه وترنحت للخلف وقدمها مثبتتين فى معدته، وإستدارت لتدفعه ليصطدم بجهاز الستريو،

في لحظات محدودة توقف الجهاز وساد الصمت تماماً، وهو مستلقى فوق حطام الجهاز، وبسرعة فكرت مادلين في شيء آخر؛ صاحت «البوليس!! المكان محاصر!!».

لو قالت «حريق!!» ما كان رد الفعل بمثل هذه السرعة الحافظة، وسط هولاء الحاضرين الحفلة والمعتادين على حضور الحفلات هناك عدد كبير غارقين في الشعور بكونهم مذنبين؛ وبدأ التدافع والتزاحم للهرب من الباب؛ وفي لحظة دون معرفة السبب لم يجد أحد من ضيوفه سوى مادلين الوحيدة الباقية في الغرفة.

سألت بصوت مرتعش «ماذا حدث لحفلي؟» وعيناه ترقب الدمار وحطام الغرفة بنظرة إستنكار على وجهه وغمغم «كما لو أن عاصفة دمرته!».

قالت: «آسفة لهذا؛ أنظر؛ سأساعدك في تنظيف المكان، عندما يظهر السيد فيرمونت سوف — يا إلهي!» وأخفضت رأسها وكان شيئاً يملق فوقها وصاحت «وطاويط!» فاجتثها خوف طفولي أن الوطواط سيغرس مخالبه في شعرها لينزعه كله علق هو «ليس هنا وطاويط». نظرت إليه ثانية مستغربة إن كان فقد الرؤية، على ذراعه الأيسر كان الطائر مستقراً؛ مخالبه تنهش معطفه، باطن الطائر لونه برتقالي؛ أجنحته خضراء رأسه أصفر؛ عيونه محاطة بخطوط بيضاء، ومنقار كبير. رفرف البيغاء بجناحيه، ونظر إليها وهو يغمغم «تنظرين للمقارع الجميلة!».

قالت مندهشة: «يا إلهي» كان الطائر قد أخفى رأسه تحت جناحيه.

وتساءلت «ما هذا؟».

«لا أدري؟ بيغاء جدى، وكانت جدتي تكرههم» أين

ذهب المدعوون؟.

«لا أدري، قلت لهم أن عمى العجوز — وكل هذه الضوضاء وطلبت إيقافها أو رحيلهم، طبعاً كان هناك بعض الكلام عن غارة بوليسية، مع كل تلك الغيبوبة، يجب أن تذهب بنفسك؟».

«مخدرات وغيبوبة!».

إيه، بوليس المخدرات، كما تعرف».

وقف والأسى يملأ وجهه «حسناً، لن أذهب أنا أعيش هنا!!».

غير مصدقة «ماذا؟ أنت جويل فيرمونت؟» تلاشت إبتسامة غامضة قبل أن تكتمل على وجهه لإقتناعه بغضبها، لقد ظل طيلة فترة غير قصيرة يضللها بمعلومات خاطئة، وهو يستحق كل ما حدث له!! المشكلة الوحيدة أنه لم يكن متعاوناً تماماً؛ عندما جذبته لتطرحه أرضاً بدلاً من رده على حركتها ثبت قدميه على الأرض وتعلق بها واحتضنها بذراعيه، قالت له: «إما أنك مخمور جداً أو أنك تلعب الكارتيه بمهارة» وهي تتخلص من أحضان يديه، كانت رائحة الخمر تفوح وتتخلل كل أنفاسه ووافقها «ربما كلا الأمرين؛ آه، يجب أن أذكر أثناء فترة تسكمي كنت مصارعاً محترفاً؛ إلهمي هذا جيداً يا سيدة، مؤكداً أنك تعرفين كيف تفسدين الحفلة!».

قالت بمرارة: «أخبرتك أن عمى بحاجة للراحة لذا أنهيت الحفلة؛ وأسديت لك معروفاً كبيراً، يا ماستر فيرمونت، ليس قدورك إحضار أصدقائك المتسكمين هنا وتركهم يشيرون لضوضاء طيلة الليلة أنت محظوظ، إننى لم أتصل بعمى فريد». أجاها ساخراً «وهو كذلك، من يكون عمك فريد

هذا؟».

«هو رئيس البوليس فى هذه المدينة، وهو قلق بشأنى وشأن عمى، لأننا نقيم بمفردنا».

أفهم أنك رياضىة مشاكسة، لا أريد لقاء عمك، هذه آخر حفلة لى هنا ياسيدتى، قبل أن أبدا رحلة كفاحى وكدحى؛ كنت تشاهدين الآن نهاية وسقوط آخر نجوم البلاى بوى فى بوسطن!!».

«كفاح؟» عجزت عن طرح سؤالها!!.

«أؤلف كتاباً، وهو بحاجة للهدوء والتركيز تمام؟ لذا أقت حفلة وداع، لأودع الضوضاء من حياتى، والآن مستعد للعمل».

مؤكد أنه صادق، ضحكت مادلين فى سرها، لم تكن هذه حفلة؛ كانت إفاقة! ولا عجب أنه كان يحتبىء فى الشرفة، وبخصوص أصدقائه وبقدر ما لاحظت، فإن البيغاء كان الوحيد الذى له معنى ومغزى بوجوده فى المنزل!

«لا تصعب الأمر هكذا؛ لن تتباكى حزناً لأنك لن تسكرا».

ارتفعت رأسه، ولحمت عيونه الزرقاء، وأعلن لها «لا، بل سأشرب وأسكر، تحدثى لى فى الرابعة صباحاً عندما أكون غموراً فعلاً، وستعرفين الفارق» مرت أمامه بمحذر؛ رجل يفصح عن نواياه بهذه الطريقة فهو مشكلة أكيدة، قالت: «أظن يجب أن أغادر شكراً على إيقاف الضوضاء».

رفع يده محيياً «نعم، طبعاً، اللعنة أنا حتى لم أعرف اسمك!!».

«الآنسة كاربونيو» كانت الغرفة مليئة بالحطام غمغم

«آنسة كوكميسو؛ حسناً؛ ماذا تتوقعين هيا إصعدى جبل الحطام هذا».

لم يكن بمقدورها إتخاذ أى قرار، لم ينتظرها، بل غرس أصابع يديه فى ذراعها وجذبها ناحيته صحت له «كاربونيو» كانت آخر فكرة وعتها فى تلك الليلة المظلمة الطويلة، قبلها فوراً، قالت لنفسها كان يجب حدوث هذا لأننى مرهقة؛ لأن الجميع يعرفون لاشىء يعرف مواجهة الحب لأول نظرة!! قاومتها ثم إستنفذت كل طاقتها على الرفض وتركت لنفسها حرية الإستسلام الجميل، إنبعثت أحاسيس حارة لتزول كيائها، بدأ رأسها يتطاير ليعانق النجوم ويده تعانق عنقها؛ فجأة بدأت مضايقات البيغاء؛ إستقر أحدهما على كتفها ونقر أذنها بمنقاره الكبير، تجمدت للحظة، ورفع جويل فيرمونت يده عنها، وغمغم «فقدت رغبتى، الطائر الصغير ضايقتنى».

«يجب أن تصدقه، الآن وللأبد، ودعنى أمشى».

«لماذا لا نتناول كأساً ونسوى خلافاتنا».

ارتجفت مادلين، ومررت يدها على شعرها وسوت عنق بلوزتها أحضر طبقاً من المشهيات لم يمسه أحد وقدمه لها «تناولى شيئاً، سيريحك» نظرت إلى الطبق «لا أشكرك، أنا حذرة فيما أكل».

«ماذا يجب أن أقدمه لك؟ أنا أحد الزهاد والنساک الحقيقيين؟ بالتأكيد كأس صغير لن يفسد حياتك، ونحن جيران، تمام؟».

«لا أعرف شيئاً عن هذا الشراب؟ لا أشرب كثيراً؛ لكن ربما أشرب البيرة الثلجة؟».

كشر فى وجهها، ولحمت ومضات عينيه، فى نهاية الليل

وزجاجات بيّرة مثلجة وفتاة شابة كل هذا يعنى الضياع !!
عاد من المطبخ حاملاً زجاجتى بيّرة، تناولت منه الزجاجاة
وقطعة التوست وقالت: «سوء حظ، هناك مثل فرنسى قديم
يقول تبادل الأتخاب مع حذاء مفكوك رباطه سوء حظ» .
سألها «أحقاً؟» .

«حقاً، هل أكذب عليك؟» وبدأت تضحك وعجزت عن
وقف ضحكاتها وهى تسكب زجاجتها فوق رأسه .
زجر غاضباً «اللعة !!» .

نقق البيغاء «قاتل الزوجات الستة» .

إعتدل جويل فيرمونت ببطء؛ تراجعت مادلين للخلف بمحذر
حتى إستندت إلى الباب المواجه، كانت عيناه قد غام بريقها،
واعتراها الخوف .

بدأ حديثه بلهجة حادة «ياسيدتى، أنت مفسدة الأفراح
والحفلات، ألسن كذلك؟ حسناً، الآن إلا تفعلين معى
معروفاً، أخرجى من بيتى، أخرجى من منزلى، أخرجى من
حياتى!» .

إلتفتت مادلين وشقت طريقها، ودلفت من الباب إلى
الظلام، وعبرت الفراغ الفاصل بين منزلها، وعبرت الباب
الخلفى .

قفزت قطة عمّتها ميهتابل فوق مائدة المطبخ وشاهدتها،
وهى تسند رأسها على الباب وبدأت تتحرك ببطء شديد ناحية
مكتبها، حيث جلست مسندة ظهرها على مقعدها أمام المكتب،
وتصفحت يدها حزمة أوراق كانت تطالعها من قبل عندما
إرتفع ضجيج الحفلة، وجدت القلم الذى أسقطته، لكن ذهنها
كان غير منتبه، بدأت صورة جويل فيرمونت تتقافز أمامها، منذ

ساعتين لم تكن تعرف بوجوده، والآن...؟ همست «يا إلهى..
أخرجى من حياتى» لم يبق فى ذاكرتها من أحداث تلك الليلة
سوى هذه العبارة .

قالت لنفسها مدينة كبيرة، متفطرس بمغازلته للنساء،
وسط رجل مرفوض وأصدقاء منبوذين. لماذا لم يسعفها الحظ
برجل لطيف هادىء، شاب متعلم ليشتري المنزل المجاور لها؟
لكن طيف قبلاته مازال مستقراً فى أعماق شعورها، حاولت
أن تطرد تلك الذكرى من عقلها .

جاءت القطة ميهتابل لتستقر بين ساقها ضاع منها أمل
إتمام عمل مئات الأوراق المائلة أمامها، فهى تباع عقارات فى
حصى البحيرة المجرية فى تيوهاميشاير، وكل صفقة تتطلب أوراق
كثيرة، كل هذه الأوراق مؤجلة من أمس ولكنها لن تستطيع
تسليمها، نحتها جانباً بينما عقلها يموج بأفكار متصارعة .

همست لنفسها «أعرفك يا جويل فيرمونت، ربما أكون
بأعوامى السبعة والعشرين عانساً، ويصبح من السهل الوقوع فى
حب رجل لطيف ليس مربعاً مثلك، لحسن الحظ ليس هناك
شئ مثل الحب لأول نظرة، لكن لو أردت الحفاظ عليه يجب
أن أبتعد، أبتعد عنه!» .

حاولت أن تريح نفسها لكنها فشلت وظلت تلك الذكرى
تطاردها وتجلب لها الأرق طيلة ليلتها .



الفصل الثاني

فتاة رياضية

ضوضاء الصباح، بداية مزعجة، تسلت الأصوات عبر نافذتها، تغريد طيور النورس، نداءات الصيادين على الساحل، ساحل البحيرة، صيحات الأطفال في الحديقة خلف المنزل، وأصوات تنظيف الأطباق في المطبخ؛ الغرفة تكاد تتطاير بها، وتمددت مادلين بصعوبة، لقد كانت ليلتها فظيعة بكل الإعتبارات وعندما نامت شاهدت أحلاماً لم تشاهدها من قبل جلست في سريرها، تنظر إلى الملاءة التي سقطت على الأرض والوسائد.

ليلة لا تنسى؟ يا لها من شيء يشبه الأحلام، جويل فيرمونت وبيغاؤه على الذراع وعيناه وسط جبهته، وخصلة من شعر رأسه منسدلة!! ماذا يعنى هذا الحلم؟ هل يريد وصالها؟

إنطلقت صفارة الفلاي في المطبخ، قالت لنفسها صفارة تحذير أخرى، حتى في أيام السبت باعثة مارى لاتغيرين عاداتك الصباحية، لكنها طردت الخيالات التي تنهش رأسها، وقالت لنفسها «أعرفك يا جويل فيرمونت» وخرجت من

سريرها، وتناسته. تطلعت في مرآة الحمام لنفس الملامح التي كرهتها لسنين - تمشى فوق أرضية أنفها؛ ندبة شاحبة فوق حاجبها الأيمن، تذكارة لليلة التي فاز فريقها بكأس بطولة كرة السلة للآنسات في تيوهاميشاير، عندما إصطدمت بقعد أحد المتفرجين، وكسرت شطفة من نايبها الأيسر العلوى كتذكارة لمباراة اليبول في الجامعة.

إرتدت بدلتها والجاكت المطبوع على ظهره حرف «x» بالفسفور المضيء كإشارة تحذير لراكبي الدراجات البخارية عندما تعدو في المنحنيات الخطرة؛ كانت البدلة ملائمة لها تماماً، وهي تنظر للمرأة أعلنت استيائها، وهبطت السلم بسرعة قبل أن تطل العمه مارى برأسها وتناديها.

وقفت للحظة عند الباب، من الصعب عليها وصف العمه مارى، مخلوق قصير بانس، رأسها الصلعاء لا يغطيها سوى خصلة شعر خفيفة بيضاء في منتصف الرأس؛ امرأة هادئة؛ بإستثناء موضوع واحد. وهي السيدة التي إقترحت في إجتماع العائلة بعد جنازة والد ووالدة مادلين التطوع برعايتها وهي طفلة أبنه العامين فقط، وهي السيدة التي لم تتنكر لوعدها، وهي السيدة التي قبلت في عيد ميلادها الثمانين أن تتولى مادلين بعد أن أصبحت امرأة ناضجة ذات طاقة دافعه، تتولى تنظيم أمورها بنفسها سوى أمر واحد.

«ها! تهربين مرة ثانية؟» عكصت أرضية أنفها وهي تطل عليها من المطبخ، نفس المناقشة التي تسمعها مادلين يومياً طيلة السنوات العشر الأخيرة، ودائماً تصل لنهايتها المحتومة، عندما تضيف العمه «أهذا شيئاً ترتدينه للخروج!!».

غمغمت مادلين «إنه في غاية الإحتشام» وإنسلت تجاه

الباب الخلفى، بينما تهتد العمة «محتشم الفساتين هي المحتشمة، وتلك الضوضاء الفظيعة ليلة أمس!! لم أستطع إراحة رأسى على الوسادة وكادت تنفجر!!».

هذه العمة العجوز التى لايزيد طولها عن خمسة أقدام لاتعترف أن ابنة أخيها الفارعة القامة أطول منها بأعوامها الخمسة والثمانين مازالت العمة مارى تصر على القيام برحلتها السنوية من كندا الفرنسية والتى إعتادتها منذ خمس وسبعين عاماً.

لكن هذا الصباح أرادت مادلين إختصار دائرة الحوار «ذهبت إلى الباب المجاور ليلة أمس لأشكو لهم، جارنا الجديد الشاب!».

تجمدت العمة مارى فى وقفها «شاب؟ هل هو متزوج؟» سؤال اليوم الهام، فى حوار عمتها، وأجابتها «نسييت أن أسأله».

«إشربى عصير البرتقال، أنسييت؟ هذا الجيل الجديد!! كل الناس لديها أطفال!! إشربى».

أصرت مادلين «ليس صحيحاً الجرى والمعدة ممتلئة إن كنت لا تريدين أن أصاب بتقلص عضلى، أتريدين؟» «ماأريده أن تتزوجى، نريد أطفال يرحون حول المنزل، ماذا حدث عندما ذهبت عندهم ليلة أمس؟».

«أنا— حسناً، كان يسبون ضوضاء رهيبه طلبت منهم إيقافها، وأوقفوها».

وهى تشرع أنفها بنزعة أرستقراطية فى الهواء «وماذا عن هذا الرجل؟» بينما عدم التصديق يتخلل مئات التجاعيد فى وجهها العجوز.

«حسناً، هو بالتأكيد؛ وسيم، لبق الحديث، لكنه مغرور متفطرس! ياإلهى، يظن أنه أعظم رجل فى العالم!!».

تهتد العمة بيروود وكأنه تضع الثلج لتطفىء لهيب مادلين «نعم، طبعاً، منذ كان عمرك أربعة عشر عاماً كان بإمكانك مع مرور السنين كتعاقب الفصول أن تقابلى أعظم رجل فى العالم وتقعين فى حبه لأول نظرة؟ هل تزوجت؟ هل لديك أطفال فى المنزل؟».

«آه؛ ياعمة، أليس هذا سيئاً، أليس هذا كثيراً؟!».

«كم مرة؟ كنا على وشك الزواج، ولا مرة؟ أنا يعجبني ألفريد، ماذا يعمل الآن؟».

«حقق نجاحاً كبيراً، هو أحد جامعى القمامة رئيس عمال على جواره الخاص».

«وهل تزوج؟».

«نعم، تزوج ابنة أوبرين، تذكريها، تلك الصغيرة ذات الرأس الأحمر، كنت أكره مشاهدة رأسها، لديهم سبعة أو ربما ثمانية أطفال».

«هاها— لا مفر؛ يكفى أربعة أطفال الإنجيل يقول:

«تكاثروا» لكنه لم يقل بهذا العدد، سبعة أطفال!!، وماذا عن الولد جورج؟ عندما كان عمرك واحد وعشرين عاماً؟».

إشتعلت خدودها «إنتهى الأمر لأنه كان يريد أشياء كثيرة، لم يكن الزواج ضمنها».

«تحاولين إستغفالى؛ فى ذلك الوقت كنت أتشمم مثل

لكل الأمور قبل وقوعها، يامادلين، كل مرة عندما تسمعين

حديثاً عن الزواج تتحدثين عن الرجال المدهشين الكمل

المثقفين، ماذا جرى؟ لا، لن تقولى لى؛ أنا التى سأخبرك

بمجرد أن يتلاشى تورد خدودك فلن تجدين أى رجل يقترب منك، ولا واحد؟ إذن لا تهتمى بالإكتمال - فقط أخبرينى، فقط إسألنى هل هذا الرجل له قلب شجاع؟ عقل مستقل؟ ما تحتاجينه هو رجل يده قوية، يا شيرى!!».

أصرت مادلين «لست بحاجة لأى نوع من الرجال، أنا سعيدة تماماً بحياتى هذه، أنت وأنا - هذا يكفينى!». قاطعتها العمة مارى «كلام فارغ، إذن هو مختلف - ماذا يقولون الآن - هل هو؟».

احتجت مادلين «لا، ليس هذا الشخص، لا أستطيع، لا». واصلت العمة «إذن، تمام، إذن فهو رجل بمعنى الكلمة ملائم لك؛ أو إنسيه، أخرجى وإجربى بسرعة، قومى بتدريباتك، إنشغلى فى عملك وسريعاً سيتشوش عقلك، لكن الأمور ستعود إلى طبيعتها، الآن، هل هذا كل ما فى الأمر؟».

أرادت مادلين أن تقول لها، هو ليس فائق الرجولة بالنسبة لى، هو النوع الخاطيء من الرجال الذى لا يلائمنى، لكن الكلمات ماتت على شفتيها، العمة مارى رغم شيخوختها شغوفة جداً بالمناقشة المتعمقة لذا غيرت الموضوع!!

تهتت مادلين «هذا كل ما فى الأمر؛ قابلت ذلك السيد فيرمونت وإكتشفت سره الفظيع!».

إتعمت عيون العمة «حقاً! أخبرينى بسرعة هل هو مختلس بنوك؟ نادى البريدج سرق ظهر أمس» كانت العمة تمص شفتيها، لمحت مادلين، وتناولت عصير البرتقال الحامض بمادلين! قالت مادلين وهى تزيع مقعدها للخلف «لماذا لا يكون الأمر أبسط من ذلك؛ هو يؤلف الكتب ولديه بغاء!».

«بمجرد دقيقة، لا يمكن أن تتركينى هكذا! وأنت لم تشرينى عصير البرتقال!!».

«يجب أن أشربه؛ الكأس فارغ!!؛ يجب أن أرحل يا عزيزتى. سأقول لك المزيد عنه بعد أن أعود».

خرجت مادلين؛ ضاحكة لكن ماقالته عمته إخرق عقلها، هل هى صادقة فى خياراتها للرجال؟ هل تستطيع تذكر أربعة فقط بوضوح؛ ولا واحد منهم يلائمها؛ وتساءلت هل أنا قاضى سىء؟ وبدأ الشك يبرز داخل تلافيف عقلها.

عند عتبات السلم قابلتها القطة ميهيتابل كالعادة؛ وكان النسيم المنعش يهب من بحيرة وينوي يسوكى أكبر مجرى مائى فى ليهو هامبشاير وفى الفضاء المرتفع كان صقر يحلق عالياً؛ والمنزلين المميزين قابعين تحت ظلال الأشجار، مدرسة الزجاج والطوب؛ التى تحتل المبنى الأخير من شارع ماكجراث؛ المبنى قابع تحت صمت مطبق والغبار يغطيها طيلة فترة الإجازة الصيفية.

تنفست مادلين بعمق لتعد نفسها وبدأت تعدو من الحديقة الخلفية بإتجاه حدود المنتزه الصغير، ليس هناك أسوار تفصل بينها سوى أن حشائش المنتزه مختلفة، وإتجهت إلى مضمار الجرى، كان المنتزه فى الغالب خالياً، والشاطيء لا يفتح قبل الثامنة أو بمجرد وصول رجال الإنقاذ النهري، وهى تفرد ذراعها، تضبط ساعتها الميقاتية وإنطلقت، ليس هناك علامات مسافات على المضمار، يختار من يجرى أى بقعة ينطلق منها، وبعد لنفسه، فى حالة مادلين تختار دائماً نقطة إنطلاقها عند نصب خشبى لقائد هندى، فى مواجهة الشارع الرئيسى الشمالى.

فى دورتها العاشرة، كانت تحاول إتقاط أنفاسها اللاهثة،

في الدورة الخامسة عشر كانت في قمة الإنهاك، وفجأة إكتشفت أنها ليست بمفردها، كان هناك شخص يجلس على أحد الأرائك الخشبية القريبة من التمثال؛ كان مرتدياً بدلة الجري، لكن واضح أنه عاجز عن البدء، رأسه منحني للخلف في زاوية حادة، كما لو كان ميتاً أو مستغرقاً في نوم عميق، وكان ببغاء أصفر الرأس يتنقل فوق المسند الخلفي، أبطأت مادلين خطواتها بالقرب منه في محاولة لإكتشاف الموقف، نعق الببغاء «إستيقظ أيها الصغير اللطيف!» وبدأ الرجل يصحو؛ وهب في الببغاء «لا تفعل ذلك!» وأمسك رأسه بيديه.

وضعت مادلين يديها في شعر رأسها وجذبت رباط رأسها، وبذلت جهدها لإستعادة حيويتها «صباح الخير مستر فيرمونت».

«فيرمونت، هل أنت معتاد على الحديث بصوت عال؟ ألا ترين أنني مريض؟ لا أظنك طيبة؟»

وجدت مكاناً خالياً على الأريكة «لا، ولا أنا أفترض ذلك» وبعد أن إعتدلت في جلستها «سنجري معاً، أليس كذلك؟»

نعق الببغاء «بعد نهاية سباق الدربي» إرتعد فيرمونت وحاول سد أذنيه «لماذا أنا؟، جئت هنا لأموت موة هادئة، ويلتقطني أي إنسان! لماذا أنا؟»

«أنا أشعر بالأسف لنا؟» على الأقل تعاطفاً رغم أنها مقتنعة أن الإدمان مرض، إدمان الكحول إلا أنها غير مصدقة «ربما يجب أن تعود لسريرك وتموت؟ أم تفضل أن أتركك بمفردك؟»

«لا، ليس هذا؛ لقد بذلت كل هذا المجهود بسببك، ولن

أستطيع القيام به مرة أخرى».

«شئ مثير ممتع، ألا تدري أنك وببغاءك أصبحت حديث المدينة؟»

«آه يا إلهي، هذا ما أريده، إخترت لاكونيا لأن لا أحد هنا يعرفني».

«حسناً؛ هذا سببم تصحيحه تمام الرابعة بعد ظهر اليوم؛ عندما يجتمع نادي عمتي للبريدج، وفي صباح الغد يكون الخبر قد شاع في أرجاء لاكونيا كلها، الآن، لماذا كنت تريد لقائى؟»

غامت عيناه عندما رأى ضوء الشمس «أنا متشكك؛ ربما أكون قد قلت شيئاً ليلة أمس ربما يكون خارجاً عن حدود الأدب؟»

«قلت الكثير!!»

«حسناً، إذن أنا آسف، أعتذرلك».

وإفتخرت أن أمك علمت السلوك الحسن يجب أن تبلغها إعجابي».

«لا أستطيع، قالت لى هذا منذ عامين، ألا يجعلك هذا تشعرين بالتعاطف؟»

«الشفقة نعم، لكن ليس التعاطف، أنت كنت فعلاً رجل متفطرس مغرور متنكر ليلة أمس».

«هذا سيء؛ هيه».

إستغرقت مادلين في أفكارها، أليس هذا المغرور هو الذي سرق أحلامها ليلة أمس؟ غير حليق شعره غير مصفف، يبدو الآن كمتسول وليس سارق قلوب العذارى؛ لو جاءت دورية البوليس الآن، سيبحثون في البداية عن زجاجة الخمر في

حقيبتها الورقية البنية ثم يقررون إعتقاله لعدم إحترامه التمثال والنصب التذكارى لبيتر توث الهندى .

ثم فكرت وقالت لنفسها لو كنت سأقع فى حب رجل ، يجب أن تقبلينه على علاته فى النهاية !! بعد خمسة ثوان إنتبهت لشرودها ، إنتفضت ووضعت يدها على فها لتتأكد أن ولا كلمة صدرت عنها !! وإستغربت إن كنت سأقع فى حب رجل ؟ يا إلهى ماذا حدث لى !! رجل متعجرف مغمور متمسك ؟ وأقع فى حبه ؟ أفى النهاية وبعد طول إنتظار إكتشف أننى كنت فى إنتظار طائر مكسور الجناح ؟ هزت جسدها ، وحاولت قع الفكرة .

وأكدت له « نعم ، كان سيئاً ، ربما أنك لاتستحق أن تكون فتى أحلام أى فتاة » وأضافت فى سرها بإستثنائى أنا ، وأنا مجنونة رسمياً عندما أقيم الرجال !! ربما ذلك هو السبب لإعتبارى أنه أفضل من هنرى الوسيم ، على سبيل المثال . إستعطفها « من فضلك ، يجب ألا تقولى هذا جئت هنا فى صبيحة اليوم لكننى إعتقدت أنك فتاة لطيفة تستحق الإعتذار ، والآن لست متأكداً » .

« أنا فتاة لطيفة ، لطيف جداً ، هذا الإعتذار هل تظننى نسيت أنك حرمت على دخول منزلك أو الإقتراب من مكانك وحياتك ؟ » .

« لا تأخذين عنى فكرة خاطئة ، كنت أعنى كل حرف مما قلته ليلة أمس ، آخر شيء كنت بحاجة له فى العالم أن أجد جيرانى يتطفلون على حياتى لا ؛ أعتذر عن الطريقة التى تحدثت بها لا عما قلته » .

وهى تنظر إليه متشككة « تطفل الجيران ، هاها » حاولت

السيطرة على أعصاب معدتها ، لقد بدأت رومانسيها لتتلاشى خلال خمسة دقائق على أريكة المنتزه !! أقصر علاقة غرامية ، رقم قياسى تاريخى !! عمتى على حق !!

لقد عرفت مادلين مئات من الرجال لم يعجبها أحدهم ، لكن هذه المرة الأولى التى يجذب رجل إنتباهها وإحساسها الإنثوى ، ويعترف أنها لاتعجبه ، إنها صدمة أخرى تضاف إلى سلسلة صدماتها التى لا نهاية لها ، بداية الليلة الماضية ! تطفل الجيران ! حقاً !!

ربما كانت العمة على حق كما هى فى كل شيء آخر ، ربما هو متخوف من التطفل ، لأن لديه ما يريد إخفائه ! إذن ماذا أفعل ، قالت لنفسها ببرود ، أن أتطفل ، ثم أشيع أخباره عبر أرجاء لاكونيا ، فى صحفها ، إن كان القتال ماتريده يامستر فيرمونت ، ستلقى جزاءك ! كما فى هذه اللحظة ، منذ الآن بدأ القتال حرب مفتوحة !!

قالت له بصوت محايد « هذا تمثال بيتر توث ، توث كان نحات مهاجر كان ينحت التماثيل الخشبية - خشب هندى - لكل تماثيل البلد ، لا أدرى كيف كان يحصل عليه ، لكن عددها هنا ثمانية وأربعين ليس هذا لطيفاً ؟ » .

« ياه ، لطيف ، هندى ، هذا ماأنا بحاجة له ! علاج هندى قديم ، يمكنك بالتأكيد إحضار وصفة علاج هندى وهذا يساعدنى ؟ » .

شجعته عبارته « شيء بسيط ، لا أعرف أى علاج هندى قديم » إبتدلت خصلة شعره على وجهه ، بدون وعى مدت يدها وأزاحتها « ماذا بشأن العلاج الكندى القديم ؟ » .

« كانوك (كندى من أصل فرنسى) ماذا يعنى هذا ؟ قبيلة

أخرى؟» .

«إنه الاسم القديم الذي يطلقه الإنجليز علينا نحن معشر الكنديين من أصل فرنسي عندما جئنا إلى جنوب كندا لأول مرة، كانوا يقصدون به التهكم لكن الآن نحن نستخدمه الآن كعلم يميزنا!» .

«لست بحاجة لبيرق أو علم أنا بحاجة لإنقاذ» .

«حسناً، تعالي إذن» وقفت ومدت يدها لتجذبه، ولثقله لم تستطع ووقعت أرضاً وهو معها، وإستقر البيغاء على كتفها هي، لم ينطق البيغاء بحرف، ربما تشاهدتهم العمة ماري من النافذة؛ كانت واقفة في الشرفة ممسكة بباب المطبخ مفتوحاً وهما يصعدان درج السلم كانت القطة معها، طار البيغاء إلى المطبخ هرباً من مواء القطة، التي تابعت، وغمغمت مادلين «آه يا إلهي» .

وتأوه جويل «آه يا إلهي!» .

وقالت العمة ماري «آه؛ يا!» وهي تتجاهلهم وتتجه ناحية القطة، بعد فترة ساعدته لدخول المطبخ، وقف البيغاء على سياج ستائر النافذة، والقطة على الأرض، والعمة ماري تفحصت جويل وحالته بنظرة سريعة خاطفة، وقالت لمادلين «أجلسي الرجل المسكين بجوار المائدة، ثم إصعدي السلم وأحضري شيئاً لائقاً!» .

قالت العمة كلماتها بلهجة حب، وطبقاً لتقاليد جيلها؛ الرجل دائماً له المكانة الأسمى .

لم يكن جويل فيرمونت أول رجل تقدم له الخمر، دائماً الرجال يشربون، لكن العمة لا تتعاطف مع المخمورين . وعندما سلمته كأسه قالت له «إشربه حتى آخر قطرة!» .

نظر إليها متشككاً «نفس السم الذي إعتادت أُمي صنعه» وهو يتناول الكأس ويرفعه في النور .

ردت العمة موافقة «محتمل؛ أنت تستحق كل قطرة» .

بكل قوته نطق البيغاء «اللجنة على الأسماك الرعاشة!!»

قفزت القطة وأنبشت مخالبها في الستارة؛ وجاهد البيغاء للإبتعاد، وعندما وقعت القطة على الأرض صاح «هو، هو!!» .

صاح جويل في البيغاء «أه؛ إصمت!» وإرتشف رشفة من الكأس، وإلتوى أنفه إشمئزاً «أظنني سأنفجر متطابراً أشلاء» ووضع الكأس كما هي بينا شجعتة العمة «إشرب! الأفضل خلال خمس دقائق» وغمغم هو «وإما ساموت» وعادت مادلين للغرفة .

بعد رمش سريع إرتدت أفضل ملابسها وأكثرها إحتشاماً تلك التي ترتديها عندما تريد مقابلة أحد المشتريين من الرجال متوسطي العمر، بنظرون رمادي واسع، بلوزة بيضاء كلاسيكية؛ إنتهت عمها وإبتسمت وقالت بإعجاب: «مدهش!» وجذبت طبق مادلين ووضعت أمامها على المائدة «إجلسي تناولي إفطارك، نسيت أن أخبرك، هنري لوفليور إتصل» .

«آه، ماذا يريد؟» .

«لم يقل، إلا تفترضى أن مايرينه منك شيئاً يريد مناقشته معي؟ ظل يتحدث عن الشاليه الفخم على البحيرة الذي بناه ليسع إثنين، ثم...» .

هبت مادلين «عمتي!، لا يهمني الشاليه، لكنه لديه أفكار أخرى، أيضاً...» .

كان جويل فيرمونت يحدق فيها «أهو رفيقك؟» كان يبدو عليه كما لو أن نصف العالم قد إنهار ودُمر، وبسبب خطأها هي، لا مبرر لديها لعدم إخباره بهنري - ولم يكن في نيّتها أن

تقول له .

أجابت ببرود « ليس رقيقاً، صعب أن تفكر فيه هكذا بعمره ووضع الاجتماعى !! وإنسى هذا، يامستر فيرمونت ! » . يبدو أن معدته كانت تضايقه، وتراجع للخلف بنفس النظرة الساهرة الغائمة، الإفطار هو الوجبة الرئيسية لمادلين ونادراً ماتسمح لها عمتها بإعدادها، رغم حرص العمة على القيام بأى شىء حتى تحتفظ بحركة يديها وعقلها وتنشغل بشىء؛ وهكذا توزعت الأدوار المنزلية، العمة تعد الإفطار؛ مادلين تعد الغذاء الخفيف، والعشاء، فى هذه اللحظة لا تشعر مادلين بالجوع؛ كانت على وشك أن تزيح الطبق جانباً، لكن جويل فيرمونت الجالس قبالتها يحاول إخفاء مراقبته لها بلا حول، وتغير لون وجهه من الأصفر إلى الأخضر.

تناولت سكيناً وشوكة وبدأت تناول قطعة اللحم بالبيض «أأست جائعاً يامستر فيرمونت؟» إنسدلت خصلة الشعر على وجهه مرة أخرى، شاهدته مادلين وهى تغطى عينيه . «لا؛ أنا جائع ياآنسة هوكامبيو» وبلا وعى دفع الخصلة للوراء «أنا لم أتناول الإفطار أبداً، أحياناً لاأتناول الغذاء أيضاً!» قطبت فى وجهه وصححت له العمة مارى «كارينيو» وإنضمت إلى المائدة ويدها ففجان شأى «إنه اسم صعب عندما تزوجت أختى...» .

هبت مادلين نصف واقفة «عمتى!» وعيناه تقدح تحدياً لعمتها ألا تحكى قصة عن تاريخ العائلة، ورفضت العمة التحدى، وغرقت فى صمتها. وعلق جويل فيرمونت «غريب جداً، أشعر بتحسناً نوعاً؛ ربما لاأريد أن أموت اليوم. إذن لو تسمحون لى ياسيدات، سأشوق طريقى إلى...» .

نق البيغاء «قاتل الزوجات الستة!» وهبط من الستارة ليستقر فوق كتفه، وميهتايل قفزت فوق المائدة لتتحرش به؛ وخربشت كأس اللبن غمغمت العمة «آه ياقتلى» ووقف جويل بسرعة ليبعد البيغاء عن القطة، وماءت القطة بغضب وهى تهز ذيلها .

وعلق وهو يتجه إلى باب المطبخ «لاأظن أن قطنك مثل بيغائى» .

ردت مادلين ببرود «على العكس، أظن أن ميهتايل تحب البيغاء جداً، وبنفس الإسلوب يامستر فيرمونت تعجبينى» . كان بادياً كأنه إستعداد صحته، أضاء وجهه «بالنسبة للغذاء، تقصدين ذلك؟» وخرج وصفق الباب ورائه؛ قبل أن تفكر أى من المرأتين ماذا يقولان .

بالفعل أفسد إفطار مادلين وسارت ناحية النافذة وشاهدته ينظرو فوق العشب الفاصل بين المنزلين، وتبعها القطة . وأشارت إلى عمتها «أرأيت؟ هذا جارنا» .

كانت يد العمة مارى ممسكة بفاطمة ورقية مبللة باللبن، وجاءت لتقف بجوارها فى النافذة «رجل فائق الرجولة، خشن، ملامحه حادة، ربما لايستأثره حب الحياة الأسرية؛ لكن المرأة الجيدة يمكنها مداواة ذلك» .

هبت مادلين غاضبة «لحظة ملعونة، إن كنت تفكرين أننى أفكر مثلك...!» .

«لماذا، لا أفكر فى شىء مثل الحب، هو رجل لطيف رغم أنه يشرب الخمر، ومن من الرجال ليس له عادة سيئة؟ ولدى إنطباع أن حسابه فى البنك متخم بالمال، أليس صحيحاً؟» . وافقت مادلين «أفترض ذلك، لكن...» .

واصلت العمة كلامها «لكن يجب نظرياً الاعتراف بأن من السهل الوقوع فى حب رجل ثرى تماماً مثل الوقوع فى حب رجل فقير» .

«نظرياً؛ المرأة إما أن تكون شجاعة أو غبية أو الإثنين معاً؛ لو حاولت مع هذا الرجل، ذاتيته متضخمة جداً!» .
«آه، لكن هناك نساء، ونساء أخريات» .

«لو كنت تقصديننى فأنت وضعت يدك إمراً فاشلة، أقف هنا مكثفية بالإعجاب به خلف ظهره، وأترك تقارير مبيعاتى ناقصة والمنزل بحاجة لتنظيف، أليس كذلك؟» .

تنظيف المنزل والتسوق مهمات لاتروق لمادلين المنزل واسع جداً، أوسع من إدارة إمرأتين فقط له، نصف غرف الطابق الثانى مغلقة، وتأتى إمرأة ثلاثة مرات إسبوعياً لتنظيفه، لكن العمة مارى لشيخوختها لاتستطيع تنظيف أى شىء، ولا تحاول .

ولذلك، تتولى مادلين إنجاز المهمتين معاً فى عطلة نهاية الإاسبوع؛ وهكذا هبطت مادلين درج السلم مرتدية الجينز، وبدأت عملية التنظيف بينما عمته تنفض الغبار من غرفة المعيشة والصالون عندما دخلت مادلين المطبخ قالت: «لكن قلبها فى موضعه الصحيح، وتنفض الغبار بمهارة!!» .

المطبخ هو قلب المنزل، أى أسرة كندية من أصل فرنسى تقول لك هذا، هو المكان الذى يجب تنظيفه وتلميعه! وعندما قاربت الساعة على الرابعة بعد ظهر السبت، كان وقت التسوق قد حان موعده .

تناولت مادلين القائمة المعلقة على الدولاب فى المطبخ، وركبت سيارتها أومينوس وإتجهت إلى «الشوبنج سنتر» فى

نهاية شارع ماكجريث ثم الكنيسة وعبرت الكوبرى إلى ميدان الاتحاد، ثم إتجهت شمالاً بعد المدرسة العليا ثم إلى المنتزه الخالى حيث السوبرماركت .

نزلت من سيارتها ببطء، كان يوم صيفى حار لاكونيا المدينة المحاطة بالجبال من كل إتجاه والتي يبلغ شاطئها على بحيرة وبنى بيسوكى مسافة مائة وثلاثة وثمانين ميلاً، ولهذا تسمى مقاطعة نيوهامبشاير المقاطعة الجرانيتية .

كانت السماء بجمرة شمسها قد هجرت الطيور بحثاً عن ظل تحتسى به، وحتى الأشجار لاتهتز فيها ورقة، مشت مادلين حقيبتها معلقة فى كتفها، رأسها منحنية، وأسرعت لتحتسى ببرودة السوبر ماركت .

سمعت صوتاً أخرجها من شرودها «ألست أنت مرة أخرى؟» حدثت فيه، إنه لجويل فيرمونت بعد أن أصلح هندامه وإستعاد وسامته، وبدا عليها الراحة والهدوء، وصاحت «أنت مرة ثانية إذن لم تمت بعد!!» .

لست بحاجة لإظهار خيبة أملك، هل تتعقبين خطواتى؟» .
«أتعقبك أنت!!» إندفعت الكلمات من فمها بإنجليزية واضحة ثم تحولت إلى الفرنسية ثم إنقلبت إلى الألمانية .

«أنت فتاة صغيرة مدللة عنيدة، يجب أن تغسل عمثك فك ولسانك بالصابون مرات كثيرة هل تظنين أنك الوحيدة هنا التى تتكلم الفرنسية والألمانية؟ لمعلوماتك، أمى وأبى تزوجوا قبل إنجابى بعامين» .

إعتدلت مادلين بقامتها وشرعت رأسها عالياً «لست بحاجة لأن تهتم هكذا، لم أتعقبك حتى لو كان بمجودتك آخر تذكريتين لسفينه نوح!!» .

« هذا سىء ؛ حسناً ؛ كلما سمعت المزيد منك كلما إزداد إعجابى ، أخشى أنك ستكونين مثل النساء الغيبات اللاتي يريدن الإرتواء على ، الأفضل أن تعلمى أن جيرانى يكرهوننى !! » .

أجابته ببرود « أنا لا أكرهك ، هذا يستنفذ طاقة كبيرة منى ، أنا فقط مختلفة عنك يا ماستر فيرمونت الآن لو سمحت إفسح لى طريقاً ، أريد أن أنهى مهمة التسوق ، هذا المحل سىء جداً بدون وجود شخص مثلك هنا ! » .

ضحك جويل وهو يتعقبا ناحية جناح الخضروات الطازجة « قت بذلك على خير وجه ، لكن ماذا تقصدين بقولك أن المحل سىء جداً !! » .

نظرت إليه من فوق كتفها ، فى ضوء الفلورسنت رغم عمق نظرات عيون الزرقاء مازال هناك شىء من غموضه الليلي ، وإستغربت هل يتسوق ، معظم الرجال يكرهون التسوق « حسناً ، مجرد مشاهدتك هذا المكان يفخر بذلك ؛ أنظر الآن ؛ خذ طماطمة !! » .

نظر إلى الطماطم « لا أكل الطماطم ؛ أمى كانت تجبرنى على أكلها » .

« ولا أنا ، رغم أننى أحبها ، هيا إحضر لى بعضها » .
« تبدو جميلة ، لماذا ... » .

« ناولتى واحدة » مد يده وناولها طماطمة فعلاً « يبدو لطيفاً لى » .

قالت مادلين « منذ خمس سنوات لم يكن يسمحون بهذا فى المحل ، لكن بسبب السرعة أحياناً توجد أشياء فاسدة . وهناك جيران يشترون تلك الأشياء الفاسدة ، ويبدلون قصارى جهدهم

لإخفاء تلك الحقيقة ، أحقر ذلك السلوك !! أرمى تلك الطماطمة الفاسدة ، لا يدري أحد ماذا قد يصيبنا منها » .

رد عليها « لكن مجرد طماطمة واحدة لا يهم ، ربما تسين للمحل ، لماذا جئت هنا طالما هو محل سىء !! ؟ » .

« هذا سؤال جيد ، لكن فى المدينة المحلات قليلة كما تعرف ، والآن تسمح لى ... » إندفعت إلى ركن اللحوم ، ولاحظت أنه مازال هناك فى قسم الخضر والفاكهة ، ومدير المحل واقفاً قلقاً بجواره .

عندما بدأت تجميع البقالة فى الحقيبة الخلفية للسيارة خرج من المحل ، دون أن يحمل شيئاً من مشترياته ، كان الغضب بادياً فى خطواته ؛ إنتهت مادلين من وضع حاجياتها ، وجلست أمام عجلة القيادة ؛ ولحمته يستدير ناحية اليمين أمامها ليعبر ميدان الإتحاد بسرعة جنونية .

غمغمت « لطيف ، إذن هو رجل لطيف » لكنها لاتعنى أنه « لطيف .. ها ها !! » .

تعرف أنها لن تنجز أى أعمال إلا من خلالى، وأنا أعمل لها منذ شهر» .

وافتها «إذن وهو كذلك، إنتهى من عملها، وهذه آخر مهمة الآن، فيما عدا...» .

نظرت مادلين متفحصة وجهه، ليس جميلاً، لكنه أيضاً ليس قبيحاً، خلف الوجه اللطيف الرقيق يقبع منجم عقول؛ بالتأكيد هو على وشك القيام بشيء؛ شيء مؤسف غير سار؛ رجاء إذن - لتقم بالمبادرة. وسألته «إلا ماذا يا هنرى؟» وقف وتزحزح المقعد معلناً عن راحته من وزنه الثقيل؛ وتناول يدها فى يده، وقادها ناحية خريطة الحائط ووضع إصبعه على بقعة خارج البحيرة، وصاحت غير مصدقة «منطقة مورشيون؟» .

وافتها «منطقة مورشيون» .

وإحتجت «لكن - لقد ظلت منشورة فى كتب الدعاية لمدة خمس سنوات، وتعرف أنها - مكان مأهول بالجن أو شيء من هذا القبيل» .

صحح لها «منذ عشر سنوات، وليس هناك منزل مأهول بالعفاريت، بل هى مزرعة جميلة تشمل الجزيرة كلها، خمس وثلاثين فداناً من أجود الأراضى، ومنزل به ستة عشر غرفة» .

غير مصدقة «أرض خصبة! صخور صلبة وأحجار ينمو عليها قليل من الحشائش والطحالب كأرض تكساس!! لا شيء غير أشجار الصنوبر، و فقط أربع مواضع فى كل تلك المساحة هى المستوية ويمكن الجلوس عليها! وهى مأهولة بالعفاريت والأشباح. إنها مكان لا يمكن بيعه بل مستحيل!!» إبتعدت عن الخريطة، وجلست على مقعد مواجه لمكتبه .



الفصل الثالث

القطة والبيغاء

كان يجب أن يولد هنرى لوفليور كروباً «ملاكاً مجنحاً، منذ خمسين عاماً مضت وهو مازال محتفظاً بخدوده الناعمة وجسده الملقوف القوام؛ ربما خصره أسمن من المعتاد وإبتسامة عريضة تضىء وجهه، ليس طويلاً جداً كعملاق ويعطيك إنطباع بأنه يستحق الإعتماد عليه؛ الإنطباع الذى يجب أن يتمتع به أى وكيل لبيع السيارات المستعملة فى المقاطعة؛ لكن يبدو أن خصلة الشعر الأبيض الفضى التى تحيط برأسه تضايقه .

قال بإصرار «لكن يجب أن تدركى يا مادلين أنك أنجزت عملاً جيداً خلال هذا الصيف، لذا سوف ن... مؤقتاً سوف نتوقف عن بيع المنازل فيما عدا...» .

ترك الكلمة معلقة فى الفضاء، وأدركت مادلين الفخ؛ معنى التوقف عن البيع فقدانها أى دخل إضافى بيننا يمكنها وعمتها العيش على مدخراتها، وإستثماراتها لكن هذا يعنى إستهلاك دون إضافة!!

قالت محاولة إظهار رفضها «لاتنسى السيدة ويزرز كما

جاء خلفها وقال وهو يلقي بجسده ليفرق في مقعده «صعب لكن ليس مستحيلاً» وإبتسامة تضيء وجهه « هذا إختيار لندوبة مبيعات ممتازة يامادلين أى إنسان بإمكانه أن يبيع شاليه مكون من ست غرف على شاطئ البحيرة، لكن مندوب المبيعات هو الذى يبذل جهداً لبيع مزرعة مورشييسون، وتصيح مثلاً يحتذى».

ناقشته «لا أصدق هذا، أنت تضع الأمور وكأن لا بد لها، مؤكده هناك خيارات أخرى؟».

بصوت خفيض «طبعاً يا عزيزتى، لن تقومى بمثل هذا النوع من الأعمال أبداً لو وافقت على الزواج منى يامادلين».

تهتت مادلين وهى تقول لنفسها نعود ثانية لنفس الموضوع؛ هنرى لوفليور أخطر العزاب الذين حاموا حولها؛ ولسبب ما يريد أن يتزوج مادلين كاربونييو منذ أول مرة صرح برغبته منذ وقت بعيد، لكن لم يستمر تكراره، رجل لطيف، هنرى، سيكون زوجاً لطيفاً لأى امرأة، لكن ليس لى! للحظة سرى فى عقلها ذعر؛ أيضاً فإن خسرتها لدخل كبير قد يوقع بها فى فخ الزواج، كما يحدث مع باقى النساء، «لكن أدعوك ياربى إلا تجعل هنرى هو قدرى كزوج!!» هكذا تفكرت مادلين.

هربت منها الكلمات الصحيحة «هنرى...» هل ترفضه نهائياً وتحسم الأمر؟ أم تتجاهل المسألة كلها؟ كان عقلها يقلب الأمر على وجوهه العديدة «هنرى؛ قل لى تفاصيل أكثر عن مزرعة مورشييسون».

رأت خيبة الأمل مرسوماً فى عيونه، مد يده ليفتح درج المكتب وجذب ملف المزرعة وسلمه لها كان يبدو ككلب بائس ركله صاحبه وطرده ليحرمه من جنة رعايته؛ قالت

لنفسها ربما كانت الدهشة قد قضت عليه لو وافقته، أرادت أن تصرخ فيه؛ لكنها تراجعت، أخذت الملف ووقفت ووعده وهى تستدير بخفة لتخرج من المكتب «سأدرسه فى المنزل».

وقف هنرى وهو يرقب قامتها الهيفاء «مادلين!» ناداها؛ وإلتفتت «سأدرس كل شىء بخصوص المزرعة، هذا ما أقصده».

كانت سيارتها القديمة فى موضع غير مسموح بالوقوف عنده؛ خارج محطة سكة حديد لاكونيا القديمة حيث حول المبنى بإكماله إلى محلات ومكاتب بعد نقل المحطة منذ سنوات، الآن؛ المبنى يتلألأ بواجهات المحلات الناصعة وأوانى الزهور، كأنه إبتسامة خارج الميدان ومبنى غرفة التجارة.

أنقذت مادلين سيارتها قبل أن يقترب منها رجل المرور وبيده مخالفة الجراج فى غير أماكنه، وإنطلقت بها مباشرة شمال الشارع الرئيسى ثم شارع ماكجريث ثم إلى منزلها، كانت العمه ماري جالسة فى الشرفة الأمامية والقطعة نائمة تحت قدمها.

للحظة ظلت مادلين جالسة فى سيارتها تشاهدها، العمه العجوز سريعة النوم؛ لكن نتيجة لتدريب أعوام طويلة تحتفظ بجسدها ممدداً معتدلاً وهى نائمة؛ فقط تغفو رأسها، مستلقية على مسند المقعد، عمرها خمسة وثمانين عاماً، وإسترجعت مادلين أفكارها؛ لقد تقبلتتى دون تساؤل طيلة كل تلك الأعوام، وكانت لها الأم والأب، وهى التى أكسبتنى كل شىء حقته بفضلها لكنها لاتستطيع مواصلة طريقها كما تريد هى، وهى عاجزة عن الوصول لحل - كيف يمكنها أن تمنحها ماتريده من الحياة.

هي تريد إستقلالها، لكن لا تستطيع أن تتخلى عن عمتها وتركها وحيدة! أحياناً تنتابها الرغبة في التغيير لكن سرعان ما ينتابها الملل من الفكرة، وأصبحت على وشك الإكتئاب، لكن ليس لدرجة قبول فكرة الزواج من هنرى!!.

بتهيئة عميقة فتحت باب سيارتها بجزر وأغلقتة بعد نزولها؛ وصعدت السلم، كان شخير العمه عالياً، خطت مادلين بخفة وطبعت قبلة صامته وهمست «أياً ما كان الذى تريدينه منى، سأفعله» وإنسحبت إلى مكتبها.

بعد إنتهاء الغذاء، وإعداد بعض الطناجر للعشاء طيلة أيام ثلاثة مقبلة، قررت مادلين الذهاب إلى الشرفة الخلفية، فالمهمة مؤجلة منذ يومين ولو تأجلت أكثر فالمادة الأساسية ستفسد وأعدت المائدة الطويلة فى مكان يحول دون أن تطيح الريح بأوراقها، وأخرجت كل ما تحتاجه لعملها.

أخذت معها بطيختين متبقتين من حفلة عيد ميلاد أقامتها العمه مارى لأربعة أطفال أبناء الجيران، وإستخدمت السكين الحاد فى تقطيعها وفصل القشرة السميقة الخضراء وتقطيع الفاكهة الحمراء، وقبل الإنتهاء من مهمتها جاء جويل فيرمونت إلى شرفته الخلفية، صوت فتح باب مطبخه جذب إنتباهها، نظرت إليه؛ وإنقطعت أنفاسها؛ للحظة أو مضت عينيه ببريق إندهاش لاشك فيه، قالت لنفسها بأسى أنه رجل وسيم لو أن الوسامة لا تقف عند حدود المظهر!! لكن الأمر واضح هو لا يجبها، وهى لا تستسيغه الرب يغفر الكذب!!، هى واعية بكذبها وتوردت خجلاً وهمست لنفسها «كونى صريحة مرة واحدة فى حياتك» إنه رجل حسن، ربما ليس كاملاً، لكن على أية حال، هو حسن، يتوقف بانتظام

ليتحدث مع العمه، و فقط بمجرد أن شخصيتى متحذلقه بالحكمة متعارضة معه فلا يبتلعها، ويتجاهلها، ربما ليس بمقدورنا التغلب على تلك الحالة، لكن كل مرة نلتقى يستثيرنى ويستعدينى، وأرد بالمثل، ويشتم غضبنا، إذن ما الحل؟.

حل هذه المشكلة، قالت مادلين لنفسها، هو يقيم بجوارنا؛ الحل الوحيد الدائم هو جعله يترك هذا المكان؛ كيف؟ إقناعه أنه ليس مكاناً هادئاً ملائماً لرواى؛ أثير بعض الضوضاء؟ ثم ماذا بعد؟ أين يمكنه أن يذهب!! إلى مكان منعزل! لديه أموال تكفيه وتتحمه، ويمكننى أن أبيع منزلاً مكتملاً يضى بطلباته وأحصل على عمولة تساعدنى أنا وعمتى على تلبية مصروفات بقية العام! هل هناك أكثر إكتمالاً؟ كلا الطرفين يستفيد لا شىء بيننا سوى حسن النية، كل ما يمكننى أن أبيع مزرعة موريشسون!!

لم يكن واعياً بالسحابة السوداء التى يتطاير منها شرر البرق والتى تحوم فوق رأسه، كان جويل فيرمونت مبتسماً، يطلق صفارته؛ والبغاء فوق كتفه، ووضع الطائر المعارض فى قفص يتدلى من سقف الشرفة وهبط السلم متجهاً ناحيتها أحنّت مادلين رأسها بسرعة، وتشاغلّت عن النظر إليه، للمرة الأولى منذ تعارفها ترتدى فستاناً، مخفضى تحت إزارها لكنه فى النهاية فستان، شعرها منسدل على كتفها، والنسيم يطوحه كأنه يعانقه، وخدودها متوردة، رغم أنها لم تعى ذلك، بما أضفى عليها مظهر أنثوى جميل، وإقترابه منها جعلها عصبية، فالنتيجة حتمية، عندما خطت قدميه فوق الدرجات السفلى، بعيداً عنها بستة درجات إنحرفت السكين لتجرح سبابتها، غمغمت مادلين «اللعنة!» ورفعت الإصبع الجريح إلى فها

ومصته .

قال لها بلهجة إهتمام «ماذا تفعلين؟» رفعت رأسها وحدثت فيه، وإستند لأحد مقاعد الشرفة، ووجهه يلمع تحت ضوء الشمس، وهو يتخلل شعره بيده، كانت قدماء حافية بما ضابقتها، كان يبدو مرتاحاً، تمنيت لو كانت ترتدى مثله، وقالت: «أنا مشغولة بتقطيع نفسى» .

«ها نحن هنا مرة ثانية؛ تمنيت لو عقدنا هدنة فى حربنا المحدودة، أنا فعلاً لست رجلاً سيئاً، كما تعرفين، العممة مارى أن العالم ملكى، وأننى أحبك ماذا عن ذلك؟» .

كان كلاماً مدهشاً لها، لكن لن يؤثر فيها؛ لو سمحت له بوصالها وهدمت حائظها الدفاعى؛ إذن سيصبح حتماً ضياعها، وخسرانها أمامه، فهى تعرف ضعفها؛ أدركت مادلين أنه لن تكون هناك حلولاً وسط بينها، ولن يكفى «الإعجاب» فقط، ربما يتجاوز الأمر مداه، إما الكراهية أو الغرق فى بحر الحب، والفكرتين متميزتين، لا، فكرت مادلين، التحرر الوحيد والخلاص الوحيد لنا هو الانفصال، خطة جيدة، يجب محاولة تنفيذها .

هاجته «كيف تضيع وقتك هنا بدون كتابة؟» .

رد بنعومة «الكاتب الجيد يعرف متى يأخذ راحته، أظن أن يدك جرحت؟ أتريدنى أن أحضر طبيباً؟» .

تنهدت «لا، فقط أبعده ولا تحجب عنى شمسى أريد أن أتشمس» .

نظر متشككاً «إلى أى مسافة أبعده حتى لا أحجب عنك شمسك؟» .

«إلى حدود ممتلكاتك، يكون أفضل!» .

«ما تحتاجه مزيد من الطيبة الإنسانية والوداعة» إقرب منها وبدأ يداعب شعرها .

وهى تبتعد عنه نهرته «لا تفعل هذا!! لقد أمضيت وقتاً فى تمشيطة!» .

رد بشكل مرح «لحسن الحظ أننى جئت لزيارة عمته إذن ماذا ستفعلين؟» .

غمغمت «أقطع البطيخ، أنه فاكهة مفضلة لعائلتنا منذ القدم» .

تحداها «لم أسمع عن نوع هذا البطيخ، هل هو وصفة قديمة إنجليزية؟» .

ضحكت «ليس تحديداً، وصفة من تينيسى، حاول أن تجرب واحدة لو لديك الجرأة، هذه آخر واحدة من العام الماضى» .

«ها» قال متحمساً «هذا جيد!» .

سألها «طالما تستطيعين القيام بهذه المهام لماذا تقوم عمته بأعمال الطهى فى المنزل؟ تعلمين أنها بلا حول ولا حتى عمود فقرى لدجاجة!!» .

وقفت مادلين ببطء محاولة كبح جماح إنفعالها، لو قتلته بهذه السكين الحاد لن يفعل لها عمها قائد البوليس شيئاً؛ فكرت، طبعاً عنده حق!! العممة مارى تجهز كل الوجبات، تخرج الطناجر والطعام المحمد الذى طهته مادلين، وتضعهم فى الفرن لتسخينهم، وكل ما فعلته أن شرحت كل ذلك للسيد المتطفل، صحيح؟

لماذا يجب أن أوضح له أى شىء؟ تساءلت مادلين، أولاً، ليس من شأنه، ثانياً، لا يهمنى رأيه، ألا يهمنى فعلاً؟؟ إذن

مادلين فى الصباح يعترها شعور بعدم الرغبة فى الذهاب للعمل لعدم وجود شىء تقوم به تحديداً، فضلاً عن معاناتها من صداع من إستماعها لصفارات الليلة السابقة؛ ومع ذلك فلقد أجرت عدة إتصالات تليفونية مع الجيران لترتيب إجراء مباراة على منتزه منزلها، خارج نافذة غرفتها تسمع ضجيج الصبية يتقاذفون الكرة، ثمانية عشر صبي، يتصايحون وهم يهاجون بالكرة على العشب؛ أخذت حماماً سريعاً وإرتدت الجينز وبلوزة، لا وقت للتأخير والتلكؤ، هبطت السلم وتناولت صفارة التحكيم؛ بدأت المباراة تمام الثامنة؛ وفى التاسعة خرج فيرمونت إلى شرفته يشاهد المباراة؛ فى التاسعة والنصف كان الفريقان يستلقيان على العشب من الإرهاق، هبط وإتجه ناحيتها، كان غضب مدمر يميت مرسوماً على وجهه.

«كيف، أليس مفترضاً أننى أكتب، كيف أوصل كتاباتى فى هذه الضوضاء؟»
«لماذا؛ لا أفهم، الأولاد يتدربون؛ ولا يمكنهم إستخدام المنتزه العام اليوم، لذا، كالمعتاد سمحت لهم بإستخدام فناء منزلى»
صحح لها «فناء منزلينا؛ تقصدين أن ذلك سيحدث دائماً؟»

صاحت «ياه، لا، فقط أثناء العطلة، أثناء العام الدراسى هناك فريق تنس؛ وكرة قدم، وهوكى البنات، والجري»
أطلقت صفارتها «هيا يا أولاد، حان موعد الشوط الثانى!»
صاح جويل فيرمونت «يا لها من لحظة لعينة، لن أتحمل هذا! على الأقل إبعديهم عن نصيبى فى الفناء!»
صاحت «لن يكفى، المباراة بحاجة للفناء بأكمله لن

نستطيع منع هولاء الأطفال، كما تعرف!!»
«أنا لا أعرف تلك الأمور اللعينة!»

لم تراه ولم تسمعه مادلين بقية اليوم؛ توقف اللعب لفترة الغذاء، وتبعه مباراة هوكى بعد الظهر، وذهبت مادلين للسريير ووجهها متغضن من الوجوم.

إستيقظت مادلين فى الصباح التالى؛ كان الفناء الخارجى الفاصل بين المنزلين قد قسم؛ كان هناك ثلاث رجال يعملون على إقامة حاجز خشبى.

خرجت من السريير وذهبت إلى النافذة الخلفية عارية القدمين، وشاهدتهم يقيمون السياج وغمغمت «أين ذلك الرجل؟» وردت عمتها «جويل؟ يجرى، على ما أظن؛ رجل لطيف».

«سأقطعه أرباً لمليون قطعة وأطعمه للبيغاء!!»

«مادلين!!» سارت عمتها خلفها إلى المنتزه ومضمار الجرى، محاولة تجاهل العمال - الذين توقفوا عن العمل ونظروا إليها بإهتمام شديد وأطلقوا صفارات عديدة، جلست على الأريكة خلف التمثال الهندى حينما جاء فيرمونت وجلس بجوارها، ونظرت إليه مادلين «إذن - تخفى نفسك هنا كل صباح؟» كان جويل يبدو بكامل صحته، ويبتسم إليها، وفجأة لم تشعر بالرغبة فى التحدث إليه عن أى شىء.

غمغمت «سأغمض عيونى؛ وأعد حتى عشرة حتى تختفى فى أى مكان تريده، ولا أراك هنا؟» إنسدل شعرها؛ وأصبحت عاجزة عن إيجاد الشريط الأزرق.

«لا تفعلنى ذلك، أحب مشاهدة شعرك منسدلاً؟»

«حسناً، لن أفعل، أليس أمامك عمل ملح؟ تكتب عدة

سطور— شىء من هذا القبيل؟» .
«أنا دائماً أعتد على ترحيبك، ألا تلاحظين أننى أخذت
بإقتراحك؟» .

تهدت «لن يحدث هذا، ما زلت هنا!» .
وضع قدمه فوق الأريكة «ليس الآن، لا أقصد هذا بل
أقصد السياج؟» .

«سياج؟ أنها فكرتك أنت، لقد عشت فى هذا المنزل سبع
وعشرين عاماً ولم تكن بحاجة لسياج حتى جئت أنت!!» .
إبتعدت عنه حتى نهاية الأريكة .

قال لها: «أنا لا أعض، كما تعرفين» .
«لا أعرف ذلك، البيغاء يعرف، أين هو بالمناسبة؟» .
«فوق منزلك، العمه مارى...» .

«إنها عمتى أنا وليست عمتك، إسمها السيدة
تيرولت!» .

«طلبت منى أن أتادبها بالعمه مارى، على أى حال
عمتك عرضت القيام برعاية الشيطان الصغير عندما أكون فى
بوسطن» .

قالت مادلين لنفسها، مرة أخرى، هذا إحساس مجنون لأنه
أعلن أنه سيسافر بعيداً، لماذا إعتدت على رؤيته هكذا؟
وسألته «كم ستغيب؟» .

بدا على وجهه إحساس بالإهتمام والإعجاب، «يومين أو
ثلاثة، ربما أطول؛ أمسى فى مشكلة يا إلهى، أمسى دائماً فى
مشكلة؛ أساساً معى، آسف لقولى هذا، ربما؛ أنا لست أفضل
إبن فى العالم، لا تعليق، لا ملاحظات لطيفة؟» .

«تعاطفى كله مع والدتك، المرأة المسكينة ربما تعانى من

أعصابها!» وضعت يدها على فمها ليس هذا ماتريده «إبعد
عن شارع ماكجريث» وبدلاً من ذلك وضعت نفسها فى
موقف الدفاع عن المرأة، لم تقابلها أبداً، نحت لمعان عينيه،
وقالت إنه يبدد راحة عقلى! غمغمت «إبعد عنى، من
فضلك!!» .

«حسناً، مسألة وقت، معظم النساء يقعن فى حبي خلال
أربع ساعات، وأنت بحاجة لوقت أطول، يامادلين
كاربونيو!!» .

صاحت «لماذا، أيها المفرور المتفطرس!! مشاعرك مثل هذا
التمثال الخشبي الهندي!» إستدارت حتى لا يرى الدموع فى
عينها، وبدأت الجرى بعيداً عنه، سمعت ضحكته العالية فى
أعقابها وهى تمر أمام التمثال .

كانت العمه مارى جالسة فى المطبخ حول المائدة عندما
جاءت مادلين، كانت العجوز ترتشف كوب الشاي وتقول:
«آه يا قطتى» .

صاحت مادلين «هل القطة بالخارج!» ظهرت القطة على
الفور، أغلقت الباب خلفها وإتجهت إلى عمها «ماذا حدث
يا عمتى؟» .

«حسناً، لست متأكدة؛ طلب منى جويل ليلة أمس رعاية
البيغاء لفترة، وجاء فى الصباح يسأل عنه، ودخلت القطة،
والبيغاء ولا أتذكر ما حدث— أحدهم نقر يدي، ووقع إفطارك
على الأرض» .

وهى تلاطفها «لا تقلقى، ماذا حدث بعد ذلك؟» .

«بعد ذلك، لا أدرى كيف يتحدث!» .

توقف البيغاء ليسمع الحوار وعندما إختفت القطة خارج

الباب بدأ يقول: «قطعة مجنونة، صقرا! إنظري للمنقار الجميل!».

قالت بحسم: «كلمة زيادة منك، وسأضربك!!» طار البيغاء مثاقلاً، ووقف عند حامل الستارة «قلبك قاسى!!».

لاطفت عمتها «لا شيء يضايك يا عمتى، سأنظف المكان، وسأذهب لإحضار قفص البيغاء، لن أذهب للعمل اليومين القادمين، ولن تكن هناك متاعب، لماذا لا تخرجين للشرفة الأمامية للراحة؟ أعضاء نادى البريدج سيجيئون بعد الظهر، أليس كذلك؟».

لمع وجه العجوز «نعم، هذا المساء، وسيكون البيغاء هنا، أنظني أنك تستطيعين جعله يتحدث أثناء جلوس السيدات هنا؟» نظرت بقلق، فهي تعلم منذ زمن أن مادلين تستطيع عمل أى شيء.

«أنا واثقة أن الطائر سيتحدث، لكننى لا أحن ذلك وماذا سيقول، هل أنت واثقة أنك تريدينه؟».

لم تكن العمة بحاجة للإجابة، كان تعبير وجهها يقول كل شيء، الفرح، السرور، الإثارة كما لو كانت طفلاً يسعد بأول لعبة يمتلكها!!.

تأثرت العمة عندما تأبطت مادلين ذراعها وهي تتجه إلى الشرفة، وتستريع في مقعدها، جلست مادلين معها لفترة، حتى أغمضت العمة عينها وغرقت في النوم، بينما عاودت مادلين ذكرياتها لقد أغلقت العمة منزلها على شاطئ البحيرة وجاءت هنا منذ خمس وعشرين عاماً، عندما تبتمت مادلين فجأة، ومسحت عنها كل دموعها وأغرقتها في حنانها، الجميل الذى لن تنساه للأبد، هكذا أكدت مادلين لنفسها بحسم، ودخلت

لتنظف المطبخ، ودخلت الحمام وتركت بابه مفتوحاً كالعتاد، حتى تستمع إذا نادتها عمتها، لكن البيغاء جاء ليزعجها ووقف على جانب المواشير، وحدق فيها، ونعق:

«الصغيرة الرقيقة؛ بوللى يريد قرع طبوله!!».

«كفى هذا الآن!!» وقفت مادلين محاولة إخفاء جسدها، مفترضة أن البيغاء ذكى فعلاً، ثم قهقهت، يالها من غبية، أهى خريجة جامعة وتنجل من بيغاء!! أم أنها تخشى أن يصفها لصاحبه!!

أبعدت البيغاء، وأنهت حمامها، ثم هبطت لتطمئن على مائدة اللعب المعدة لإجتماع نادى البريدج لعمتها، واستقبلت السيدات الخمس العجائز؛ اللاتى يجئن مرة إسبوعياً منذ خمس وعشرين عاماً، وكالعادة قالت لها السيدة ماهونى «ياه، كم كبرت يا مادلين!!».

إستيقظت العمة، بعد وصول السيدة ماهونى، ونظرت إلى الصالون المغلق الذى لا يستخدم إلا عند زيارات القسيس أو عندما تكون الفتاة محظوظة عندما يجىء العريس ليتحدث فى أمور وترتيبات الزفاف.

بعد إنتهاء مراسم استقبالها لضيوف عمتها، تذكرت واتجهت لمنزل جويل فيرمونت لإحضار قفص البيغاء المعلق فى الشرفة الخلفية، وعادت بالقفص وهي تضعه نعق البيغاء «هاأيتها الصغيرة الرقيقة» ردت مادلين «أنت الذى استدخل فى القفص بنفسك» وعندما رآته يغمض عينيه ويلقى بنفسه داخل القفص صاحت «آه، اللعنة، لو قتلته سيقتلنى صاحبه، أيا البيغاء!!» فتح البيغاء عيون، ونظر إليها «إستيقظى إستغفلتلك يا صغيرة!» أغلقت باب القفص وهي لا تصدق،

وأدخلت القفص إلى الصالون للتأثير في نادى البريدج .
بعد فترة رحلت السيدات ، كانت العمة قد تناولت
عشاءها ، وكانت مادلين قد أنهكتها التعب ، رغم ذلك إتجهت
إلى الشرفة الخلفية ونظرت إلى السياج ، وفكرت لو كنت
خبیثة ، لكنك حطمت هذا السياج ، أو تزوجت ذلك الرجل
حتى أعلمه شيئاً !!

نعم ، وافقها صوت وعيها الداخلى ساخراً ، هذا يعلم أى
شخص شيئاً .

كان يوماً شاقاً مرهقاً طويلاً ، وهى متعبة ، إنفتح باب
المطبخ وجاءت العمة ماری لتقف بجوارها سألتها « ماذا
ستفعلين ؟ » .

« سأنتهى من إعداد البطيخ » .

« هذا جميل » وعادت العمة إلى الداخل لتفحص شغل

إبرتها !!



الفصل الرابع

الصفحة

قالت مادلين لعمتها « لا أدري متى نالنى الإرهاق هكذا »
وألقت بنفسها فوق مقعد « تلك المرأة الحمقاء جعلتني أذهب
لثلاثة منازل مختلفة فى يوم واحد ! » .

كانت العمة تحضر الشاي بالطريقة القديمة وإلقت لترت
على كتف إينة أخيها « لكنك بعث لها الأخير ؟ » .

كررت مادلين « بعث لها الأخير » وكأنها تظهر الرضا عن
الذات « وأخشى أنه آخر منزل أبيعهُ يجب أن أبكى على
كتف هنرى إستعطفه لسمع لى بالقيام بالمهمة ؛ عادة مندوب
المبيعات يبيع ثمانى أو تسعة منازل فى العام ، وأنا بعث عشرة
هذا العام ؛ وهنرى يريد تكليفى بمهمة صعبة ؛ وأن أخذ راحة
لإتاحة الفرصة لمندوب المبيعات الأخر !!

علقت عمتها « ليس من العدل البكاء لإستعطاف هنرى ،
مسألة بحاجة لمهارة خاصة وفتنة وتكتيك ومناورة للنجاح فى بيع
الأشياء ، وأنت تتمتعين بتلك الصفات ، ولا أدري لماذا كل
تلك الصفات العائلية تجرى فى دمك ! » .

« آه يا عمتى ؛ هذا منذ زمن ، ألا تغفرين أبداً زواج أختك

من جدى؟ بالمناسبة لم أسمع عن عطيل الصياد؟ ولم أراه منذ إسبوع؟»

«عطيل - آه تقصدين مستر فيرمونت، جويل؟» غطت إبتسامة عريضة وجه العمة المعجوز، أخشى أنه غير سعيد بجواره لنا».

سألها مادلين «كيف هذا؟» تلملمت فى مقعدها «ماذا فعلنا؟»

«لا أدرى، فى البداية كان لعب الأطفال فى الفناء، ثم بعد ذلك منذ يومين كان فريق الهوكى يلعبون فى الشارع أمام منزله ولم يبتعدوا، كل يوم يحدث شىء، مزيج له، قلت له أن لك أصدقاء وسط كل هذه المجموعات، بسبب تاريخك الرياضى وإقترحت عليه أن يطلب مساعدتك، المضحك أنه مشى وهو يتعم بشىء أنه الذى يتصرف معك - يا إلهى، كان غاضباً! وبعد ظهر أمس -»

«ماذا حدث أمس؟»

«قالت إن القطة عضت البيغاء، يالها من فكرة سخيفة! كما لو أن قطتى تريد أكل هذا الطائر النحيف الخشن المعجوز! قال جويل أن عمره أربعين سنة!!»

«تقصدين أن جويل عمره أربعين عاماً -»

«لا تكونى سخيفة، البيغاء، جويل عمره ثلاثة وثلاثين فقط»

«آه، البيغاء، عجوز ولطيف»

«البيغاوات تعيش طويلاً، فقط تذكرى أن عمرى ضعف عمره!» كانت دعاية من العمة، التى ضحكت طويلاً.

«إذن أين الصياد الأبيض العظيم؟»

«لماذا، لم يرجع إلى منزله، منذ الصباح ليس لدى أى فكرة -»

كانت نوافذ المطبخ مفتوحة لإجتذاب أى نسمة هواء، وفجأة هب الهواء؛ وسمعت صيحات عنيفة ونعيق البيغاء، ومواء القطة، كانت عنيفة وتكفى لإيقاظ وبث الحياة فى التمثال.

صاحت مادلين «يا إلهى إنه يقتل قطتنا!»

«بالتأكيد لا، ياله من رجل لطيف!»

أصرت مادلين «يمكنك إستماعه!» وأسرعت مادلين وهى تصيح غضباً وهى تعبر السياج، خرج جويل فيرمونت من الباب الخلفى لمنزله وهى تصعد السلم، وتساءل «اللجنة!! ألا يكفيك أن قطتك جرحتى وجئت لتتضمي إليها؟»

تجمدت مادلين مكانها وتطأير منها حدائنها، وحدقت فيه كان بلا بنطلون، كان الدم ينزف من كتفه «ما هذا؟ -»

«قطتك اللعينة إنتزعت قطعة منى!» وهو يضغظ ذراعه بيده، «ألا يكفيك الدم، أم يجب تقديم إعتراف بتوقيعى؟»

قالت بلهجة حاسمة «قطتى لا تهاجم أى إنسان، فهى لديها حب عميق للبشر، إذن ماذا فعلت لتجبرها على الدفاع عن نفسها؟»

نظر إليها ساخراً «إنظرى أيتها الفتاة الصغيرة، قطتك اللعينة نسلت إلى منزلى كلما أدت ظهري، وهاجمت البيغاء بنية قتله، وقفزت فوقى عندما حاولت حماية البيغاء، يا إلهى الرحمة؛ أين ذهب البيغاء؟»

«من يهتم؟ أين قطتى؟»

«إلى الجحيم أنت وقطتك» إصطدمت مادلين بسور الشرفة

رعباً من إنفجار غضبه، «بينغاثي عجوز، لا يتحمل هذه الإثارة! يمكن أن يقع ميتاً بالسكثة القلبية!!».

واقفته «لن يحدث لطائر لطيف؛ أظنك تقصد أن تقول لي أن ببغاءك لم يهاجم القطة؟ لم يتناول لم يشرها، لم يضع سياجاً لمضايقة الجيران؟».

«لا! ألا تفهمين؟ قطنك هاجمت الببغاء وهاجتني الآن، أين الببغاء!» من أعلى الشجرة جاء صياح الببغاء «الصغيرة اللطيفة، الصغيرة الرقيقة، الطفلة اللطيفة» وهبط في دائرة قصيرة وإستقر على كتفه.

غمغم جويل «الآن رأيت ماذا فعلت» نقر الببغاء كتفه ودفن رأسه كأنه يعبر عن شوقه له.

صاحت مادلين «من، أنا؟ أنظر ماذا فعلت! أخيراً طائر يداعبك!!، ويتظاهر بالموت».

«نعم؛ أنظري ماذا فعلت، لا يرضيك تخمير قطنك ضدي، أيضاً تريدان طرد بينغاثي! أعتقد يجب أن تنجلى من نفسك!!».

واقفته وهي تشتعل بنار الغضب «استمطفك أن تظل على فكرتك هذه، الآن أين قطنى!».

أشار بيده إلى الباب «هذا المنزل به أربعة عشر غرفة وإثنى وعشرين دولاباً، قطنك تختبئ في أى مكان بها، مالم تكن قد هربت من النافذة، كما هرب الببغاء!!».

صاحت «قطنى لا تطير!! أعتقد يجب أن أقاضيك في المحكمة، الآن هل ستحضر القطة؟».

قال واجباً: «ولا في عمرك كله» كان الدم يتساقط من راعه، أدركت مادلين فجأة بشاعة الجرح. وقالت: يمكننى

تخمير جرحك» إبتعد عنها كما لو كانت دقت جرس وصاحت «ملوث!».

«ولا في عمرك كله، أفضل أن يقوم الببغاء بتخميرى لأننى، أى شيء تلمسينه يأسيدتى، يتلف - حسناً؛ إبحثى عن قطنك اللعينة!!».

غمغمت غاضبة «ليست قطة لعينة» ودخلت المطبخ، وتحوّلت في الغرف؛ ونادت على القطة.

غرفة المعيشة المغلقة، والنظيفة، ثم كل الغرف في الطابق؛ دون جدوى؛ وهي في منتصف السلم صاعدة للطابق الأعلى نعت الببغاء «إلى أين يا صغيرة؟» توقفت لا يعقل أن يمتلك الببغاء كل هذا القاموس وهو لا يعنى وقالت له: «أبحث عن قطنى» بمجرد نطق كلمة القطة طار الببغاء في الهواء بصعوبة، ربما بسبب شيخوخته دار فوق رأسها عدة مرات، ووقف فوق الدرابزين ليشاهدها، قالت لنفسها مثل صاحبه.

كان الطابق الثانى غارقاً في بحر من الصمت وحجراته مغلقة، بحثت في جميع الغرف، غرفة واحدة هي آخر غرف الجناح الأيسر يبدو أنها غير مأهولة، بها سرير صغير بجوار الحائط، ومكتب له مقعد مريح، وآلة كتابة في مواجهة النافذة، نادت على قطنها، من خارج النافذة تهادى إليها مواء شاحب للقطة، صاحت وأسرعت إليها، إزاحت الآلة الكاتبة وحاملها من طريقها، وحزمة أوراق سقطت على الأرضية، وأطلت من النافذة دون الإلتفات لما أوقعت، كان قلبها قد تقافز وكأنه في فها، في الخارج بعيداً عن متناول يدها بعدة بوصات كانت القطة متعلقة بأخر شعرة تربطها بالحياة؛ غمغمت مادلين «آه يا قطنى-!» مالت بجسدها للخارج بأقصى ما يمكنها

ومدت يدها، ولكنها لم تطل القطة.

«اللجنة ماذا تفعلين الآن!» دخل جويل الغرفة خلفها وخطا ناحية النافذة «لماذا، أنت مجنونة رسمية!» صرخ فيها وهو يجذب بنطلونها من الخلف.

صاحت فيه «قطتى!! لقد أوقعه بيناؤك فى هذا الفخ!!».

«كان لن يذهب خلف البغاء لو كنت تقدمين له طعاماً أكثر، تعالى؛ يافتاة، لن يمكنك الطيران والقط أبعد منك!».

إلتفتت مادلين حولها، فعلاً المسافة بعيدة إستعطفته «إجذبنى!».

جذبها بعد أن تمزق جزء من بنطلونها وقبصها وإصطدمت بمائدة الآلة الكاتبة، ووقعت فوقها.

«ماذا تفعل!» صرخت فيه وهو يجذب قدمها بشدة، ولحمت آتته الكاتبة؛ ولقد تمزق بنطلونها، وهى بحاجة لإستخدام يديها معاً لتغطية ما إنكشف، وتزايد غضبها «لماذا أيها الوحش! أنظر ماذا فعلت؟».

تهند جويل «أنا أنظر فعلاً، يا إلهى، كيف سمحوا لك بأن تظلى على قيد الحياة حتى يصبح عمرك خمسة وعشرين عاماً».

إحتجت بغضب «سبعة وعشرين، أنظر إلى بنطلونى! وقبصى! إشتريتهم فقط منذ إسبوعين!!».

«يجب ألا تثقى فى مصانع البنطلونات، أنظرى إلى آلتى الكاتبة، لقد إشتريتها منذ ثلاثة أسابيع فقط! وإنظرى إلى مخطوطاتى!» وإغنى راكمأ على ركبتيه ليجمع أوراقه المتناثرة.

صاحت «هاها!! مجرد حزمة ورق!! الطريقة التى تعيش بها لا تجعل المرء يفرق بين المخطوطات والأوراق

المهملة!!».

قال ببطء ووجوم «لو فقدت أى صفحة من هذا المخطوط؛ ساكسر عظامك، بداية من إصبعك الأيسر الصغير حتى عنقك! أنفهمين هذا، يا امرأة!».

لم يضايقها تهديده، بل مضايقات اليوم كله، ركعت على ركبتها بجواره، وبدأت تجمع الأوراق بيديها، ولحمت دون وعى الصفحات وجدت المکتوب رواية رومانسية! إذن هذا مايكتبه، قالت لنفسها بوجوم.

إرفع يديك عن الأوراق» وإختطف الأوراق منها، الورقتان الأولى تمزقت حتى منتصفها، وقف ببطء على قدميه وهو يحدق فيها نظراته تقدح بنيران الغضب القاتل، وقفت مادلين، يدها على فمها، وقالت: «لا تجرؤ أن تضربنى» تلاشى غضبه، وحل محله إبتسامة باهتة.

«لا، لا أضرب البنات أبداً» تراجمت مادلين للخلف حتى إستند ظهرها للحائط، سيطر الخوف على ذهنها، خوف وإثارة، تلاشى غضبها؛ أسرع مما ظهر، ويدها ترتعشان وهى تطورها على صدرها.

«إذن أنت لا يعجبك السياج، ليست هذه الحقيقة بشأن السياج والجيران الطيبين؟».

«أفضل أن تضربنى» وإتخذت وضعاً دفاعياً.

«لم أعتاد تلقى الخيارات من أحد، تعالى الآن ولننتقل، خذها كرجل، أقصد كإمرأة!».

سمعت حركة خفيفة عند النافذة، بجانب عينها لحمت القطة فد أنقذت نفسها وعادت، وغمرت الراحة عقلها وإلتفتت إليه، وهى فى تمام الإستعداد، ذراعها يداها، وقدمها مستعدة

لركله ، لكن ذهنها شارد ولذا عندما تقدم نحوها وطوقها بذراعيه كانت في حالة إستسلام تام !!

« لا تفعل ذلك » كان صوتها مشعباً بعاطفة طاغية .

« تقصدين هذا ؟ » وإنحني عليها ولامسها بشفتيه وهي مغمضة العينين ، وعاود تقبيلها قبلة رقيقة حتى أسقط آخر حائط دفاعي كان أغلق شفتيها ، وإحتضنها وهو يقبلها قبلة بشها عاطفته وأصبحت اللحظة كأنها العمر كله ، وتدافع جريان دمها في عروقها وصمت أذنيها ولم تعد ترى سواه ، ولكن شيء داخلها كان يقهقه ساخراً منها هكذا وأنت تدعين كراهيته !! حركت يدها وكأنها تبعد عنها تلك الفكرة وبالمصادفة ضربت كفها عينه « يا إلهي ، بالإضافة لكل ما حدث ، كنت ستفجعين عيني !! » .

صاحت « أنت تستحق ذلك ، تستحق كل ماجرى لك أنت ، أنت وحش !! أتمنى أن تنزف حتى الموت !! » .

« ماذا ؟ » .

« أنا - » وإحتضنت قطتها تحت إبطها وأسرعت تهبط السلم كما لو كان الشيطان يطاردها ، وعندما أصبحت في الشرفة ؛ وأغلقت الباب خلفها وأدركت أن الشيطان لا يتعقبها ، ولا حتى جويل فيرمونت .

عندما عادت من النافذة بعد ذلك بعدة أيام داعبتها العمه ماري « رجل لطيف ؛ كان في المنتزه يلعب الكرة مع الأولاد » .

« الأفضل أن يتجنبوه ، سيسرق نخاع أسنانهم وكرتهم أيضاً » غمغمت مادلين ، كانت مستلقية على الأريكة في غرفة المعيشة وقدميها تحتها ، كانت الساعة السابعة مساءً قبل رحيل

آخر ضوء للنهار بساعة ونصف ، وعادت مادلين مرهقة بعد يوم طويل بحثاً عن وظيفة إضافية لكن حمام دافئ أزال التعب ، وأنعش روحها وهي الآن مسترخية مرتدية التي شيرت ، وقالت : « سأنام مبكراً الليلة ، وأقضى عطلة نهاية الأسبوع الطويلة البطيئة ، سأذهب يوم الإثنين إلى واير ، أتريدين القيام برحلة باعتمتي ؟ » .

« أنا ؟ في واحد من القوارب بسرعتها الجنونية ؟ أبداً » .

هزت مادلين كتفيها ، في عمرها هذا وتختار العمه ماري لها رياضتها وأوقاتها « آه ، حسناً ، سأذهب وحدي » .

أصرت العمه « ليس آمناً ، على الإطلاق ، حسناً ، تأملني ذلك ! » .

« أتأمل ماذا ؟ » .

« لماذا ، مستر فيرمونت قادم ناحيتنا ؛ قفز السياج بالحفة حركته ! أليس هذا لطيفاً ؟ » .

إعتدلت مادلين « قادم هنا ؟ لا ، ليس لطيفاً أغلقت الأبواب ؛ أطفئ الأتوار ، حتى يعتقد أننا لسنا هنا !! » .

تعجبت العمه ماري « أي سخافة هذه ؟ أين سلوكياتك الراقية يا مادلين !! ربما يريد الرجل المسكين التحدث مع أحد ، شخص ناضج !! » وإبتسمت المرأة العجوز وهي ترقبه .

« لا تسمحي له بالدخول ؛ ربما يريد إنهاء ما بدأه الإسبوع الماضي ! » لكن تحذيرها كان قد فات أوانه ، فهي تسمع الآن ترحيب عممتها به ، ودعوته للدخول . وقالت مادلين وها أنا جالسة بملابسي الرقيقة ؛ لماذا دائماً أكن في موقف ضعيف عندما يأتي هنا ؟ .

تبادلت عممتها حديثاً قصيراً في المطبخ معه ، بينما أسرعت

هي بصمود السلم، بعصية أعادت ربط مشبك شعرها على شكل تسريحة ذيل الحصان؛ ثم جلست على الأريكة وتناولت مجلة تتصفحها، السيدة مادلين كاربونو في المنزل بأرق ملابس السهرة! ولسوء الحظ أن المجلة التي تناولتها كانت أخبار الرياضة.

قالت العممة وهي تدخل غرفة المعيشة «ألا تنظري من عندنا!» وهي تدفع جويل أمامها، كانت المعجوز في قمة الإثارة؛ كما لو كانت قد حققت هدفاً كبيراً على طريق أهدافها العظمى.

أخفضت مادلين المجلة ونظرت إليه من قمة رأسه لإخص قدميه ببرود، رغم أن عمته تلاحظ توتر مشاعرها وقالت مادلين «آه، من؟» قالت العممة ماري وهي تتجول في الغرفة «لماذا، مستر فيرمونت، طبعاً!».

غمغمت مادلين «آه، هو».

«مادلين!».

سمعت نفسها بصوتها تقول: «مساء الخير يا مستر فيرمونت كم نحن مدينون لك بهذا الشرف؟».

أجابت العممة «سأذهب وأعد كل شيء» وذهبت قبل أن تكتشف مادلين، في مواجهة الأريكة تناول جويل مقعده بجذر وكأنه سيعضه ثم جلس، لاحظت نظافة هندامه الفائقة، لاشعرة واحدة في غير مكانها رغم أنه رجل معتاد على لعب كرة البيسبول مع الأطفال!!

قال: «تعجبيني عمته» كما لو كان دبلوماسياً يعلن حالة حرب، كانت يدها على ركبتيه، عيناه تتفحصانها.

«وكذلك أنا، عمتي العظيمة، فعلاً» وإعتدلت لتنزل

قدمها لتتدلى على الأرض، وجذبت طرف جونلتها، بسبب عصبيتها من نظراته.

قال بهدوء: «لا أريدك أن تقحمي عمته في تلك اللعبة التي نلعبها معاً» للمرة الأولى تسمعه يتكلم بمثل هذا الصوت الخفيض، كان مشيراً لها جداً، وأقل عجرفة وغروراً.

أجابته بغلظة «أنا لا أعب أي لعبة معك» وقالت لنفسها لقد إنخفضت درجة حرارة الغرفة عشرة درجات لا مفر سأستسلم له، لا مفر!! وأضافت له: «ربما يهمني أن تقول لي لماذا جئت هنا؟».

بدأ «لقد تحدثت طويلاً مع أمسي وهي—».

قاطعت «يسعدني أنك وجدت فرصة لزيارة أمك الآن، نحن مدينون لك بهذا السرور؟».

«لماذا، عمته دعيني لتناول العشاء، فلقد لاحظت أنني لا أكل».

«أه، فقط عليها أن تنظر في عينيك لترى ذلك، هل فعلت؟» سألته متهمكة «منزل محاط بأسوار، لكن منزلي مفتوح؟ أليس هذا ما يعنيه سياجك؟».

«لماذا، أعتقد أنه منزل عمته، أيزعجك أن تأكل مع رجل مهذب مثلي؟».

«لا أدري، ولن أكتشف هذا الليلة، ما لم يظهر شخص دون توقع، وهذا منزلي».

بدأ يقف «الأفضل إذن أن أذهب» قبل أن تدرك فظاعة ماتفوهت به، وإستعطفته «لا من فضلك، لا تذهب، هذا فظيع ماقلته، أنا أمتلك المنزل فعلاً، لكنه منزل عمتي ماري، ولو أرادت أن تدعو الشيطان نفسه للعشاء، إذن فن حقها تماماً

فعل ذلك» .

جلس فيرمونت في مقعده «ولقد فعلت، أليس كذلك؟
دعت الشيطان، أقصد» .

أجابته بجملة «بمجرد استخدام تعبير قديم، أتمنى أن يكون
البيغاء بخير؟» .

تحداها «أفضل من ماذا؟ البيغاء يعيش طويلاً، لا أظنه
يحسب الأيام بحساب حلوها ومرها» .

«أحاول التحدث في أي موضوع، أنا فقط - هل تريد
الحديث عن الطقس؟ أو السياج؟» .

«ليس هكذا، على أي حال، لدى فكرة أن السياج كان
خطأً، لكن أمي تريده؛ وهو منزلها، كما تعرفين ماذا غير ذلك
تحدث عنه في هذه المدينة؟» .

حدقت فيه؛ صدعها ما قاله، منزل أمه، وتريد السياج!
وطيلة الوقت وهي تلومه، وشيدت هراً من الشكوك حول فهم
خاطيء!! .

«هناك أشياء كثيرة، الحياة والموت، والأطفال وكل
الأشياء التي يفعلها السائحون، وحكاية أنه منزل أمك؟ وسياج
أمك؟» .

تهد جوليل «نعم، وهي تخطط للمجيء ولتعيش هنا
بأسرع ما يمكن» كأن شيء لدغ أذنيها؛ لهجته فيها إحساس
غير سعيد بمجيء أمه، ووجدتها فرصة وقالت: «تعرف،
بمجيء أمك، ومع بدء العام الدراسي يجب أن تبحث عن
مكان منزل للكتابة» .

رفع رأسه، وللمرة الأولى يتسم لها «هل أنت مهتم، هناك
منزل قديم جميل على شاطئ البحيرة معروض للبيع، به غرف

كثيرة، ملائم جداً لكاتب يبحث عن الهدوء» .

«ربما أهتم بمشاهدته، طبعاً، فأنا لا أشتري سمكاً في
الماء!» .

«لا، طبعاً» وساد الصمت بينها، بحثت عن موضوع آخر،
بينما ذهنها مشغول بالعمولة الضخمة التي ستربها لو تمت
الصفقة، فضلاً عن إبعاده عنها بمسافة عشرين ميلاً!! يالها من
صفقة مربحة؟ .

سألته «كيف تمضي كتاباتك؟» .

يبدو أنها إختارت الموضوع غير المناسب «ليس بطريقة
مرضية، أنا بحاجة لإلهام، أو ربما بسبب هذا المكان اللعين» .

«هذا ما ذكرته بالضبط، أنت بحاجة لمكان منزل تماماً
هناك مائتين أربع وسبعين جزيرة في بحيرة ويني بيسوكي،
معظمها عليها بيوت، ربما مورشيون ملائم لك تماماً، طبعاً،
ربما ستجده حلاً، مزرعة ضخمة نسبياً» .

«ما هذا الذي أسمعه، صياح مندوب مبيعات على
مزرعة!!» .

«تأمل كيف ستتحسن أمورك، في جزيرة كلها تحت أمرك،
بعيدة عن جيران متطفلين وقططهم!! لماذا، ربما تصيب الكرة

رأسك، هناك يمكنك اللعب بالكرة مع بيغاءك!!، عندما تفتح
المدارس ستسمع ما يجرى في الشارع؛ السيارات؛ أتوبيسات
التلاميذ، لعب الأطفال وصياحهم، شيء فظيع!! هل ستجيء
أمك في الصيف!!» .

«وأنت تعرفين أن هذا المنزل يلائمني، أليس هذا مقنعاً!
وضع قدماً فوق الأخرى .

«إقترحت» «سأناقش هذا مع هنري، لتأكد أنه ملائم» .

سألها «هنرى؟ من هنرى هذا؟» .

«هنرى لوفلورين، صاحب الوكالة» .

«وهذا كل شيء عنه؟» رفع حاجبيه بطريقة يعجز القيصر عن تقليدها، قالت لنفسها، ماذا حدث؟ وقالت له: «حسناً، هذا شيء واحد عنه» .

بدا أنه سيقول شيئاً، لكن عندما جاءت العمه ماري من المطبخ ووجهها مضىء «آه، وجدت شيئاً لطيفاً تتحدثون عنه؛ كما أرى، حسناً، إستمروا تعالوا المطبخ سيكون أفضل، مجرد عشاء خفيف كما تعرفون» .

دخلوا المطبخ خلفها، وعند الباب جاءت القطة لتنضم إليهم، وعندما لمحته، أحنّت ظهرها وتراجعت للخلف، وقالت العمه «أليس هذا غريباً لم أرى القطة تفعل هذا أبداً، عندما يكون طعامها فى المطبخ، ما الخطأ، يامادلين فى رأيك؟» .

«شيئاً أكله بلا شك» إجابة غامضة تعنى شيئاً!!
كان العشاء شيئاً مميزاً، وقالت العمه ماري «قال لى جويل إنه لا يواصل كتاباته بشكل مرضى، ما يحتاجه الإلهام» .

ردت مادلين بأدب «لا أظن أن بإمكانى مساعدته، مانوع الإلهام الذى تبحث عنه يامستر فيرمونت؟» .

أصر «نادنى جويل، صعب تفسير ذلك، أنا أكتب... حسناً، رواية رومانسية تاريخية و...» .

قالت مادلين بنعومة «آه، واحدة من تلك، الروايات الرائجة؟ خمسمائة صفحة من عذابات الحب؟» .

ردت العمه «مادلين؟» .

أصرت مادلين «حسناً، هذا حقيقى ياعمتى، هذه الروايات توزع أعلى أرقام فى توزيع الكتب، الوقت تغير، لم

تكونى تسمعين عن الكتابات المكشوفة فى شبابك؟» .

أجابت العمه «سمعت، لكن ليس فى الكتب، ولا يجب أن نتحدث عن ذلك حول مائدة الطعام، يجب أن ألوم نفسى على طريقة تربيتك يامادلين آنت كاربونيو!» .

شردت مادلين، لقد أغضبته وقالت: «أنا آسفة» .
قالت العمه: «هذا أفضل، نحن جميعاً نخطئ ياجويل، يجب أن تغفر للصغار» .

«طبعاً» أجابها .
واصلت العمه كلامها «الآن أنا واثقة أن مادلين يمكنها مساعدتك فى بحثك، وهى يوم الإثنين فى إجازة» .

احتجت مادلين «لكن، ياعمتى» .
واصلت العمه وتجاهلتها «بالإضافة أنها تحتاج لمن يصاحبها، وأنا واثقة أنك ستجد ماتبحث عنه هناك فى وايرز» .

أضافت مادلين ساخرة «آه، سيجد فعلاً، سيجد الإلهام الذى يحتاج مستر فيرمونت» .
تساءل «وايرز؟» .

شرحت العمه له «مكان يسمى شاطيء وايرز قناة صغيرة بين البحيرة والحليج، إعتاد الهنود نصب الشباك هناك لصيد الأسماك، وأحياناً يقيمون الفخاخ، جزء من تاريخ هاميشاير، واثقة أنك سستمع بذلك» .

وافقتها مادلين «نعم؛ واثقة أنه سستمع ربما يحقق هدفين، جويل يمكنك الذهاب إلى جزيرة جلورى وتشاهد مزرعة موريشون؟» .

تساءلت العمه «لماذا، رأيتها مرة منذ سنوات يقولون أنها مأهولة بالمقاربت و...» .

«عمتى...» .

سألها العمّة «هل أنا مفسدة الجماعات!!» .

أكد لها جويل «لا، أبداً، مسكونة بالعفاريث؟
هاهاها؟ أنا دائماً مغرم بالمساكن المسكونة بالعفاريث،
سندهب يوم الإثنين، بعد أربعة أيام، تمام؟» .

فكرت مادلين، الرجل دائماً هو صانع القرار، ربما أتف
لأحقق سبقاً وعملاً رائداً؟ أو على الأسوأ، ربما سأبيع له
المنزل اللعين المسكون بالعفاريث!!

مر المساء سريعاً، كانت العمّة مرهقة، تركت مادلين
لتغتسل، ولتنظف الأطباق، لم تتوقع مشاركة جويل لها، ولم
يفعل، وبمجرد خروج العمّة، عادت حريها تندلع نيرانها .

قالت: «يجب ألا تأتى» .

«نعم، سأجىء، عمّتك ستغضب منى لو لم أذهب
معك» .

«حسناً؛ أنا لا أنظف للمتعة؛ أنا لا أحبك؛ وأنت لا تحبني
ولا فائدة من المحاولة» .

«ربما ليس هذا صحيحاً تماماً مسألة الإعجاب هذه؛ أحد
مساوىء كون جارك رجل» ومضى إلى منزله وهو يطلق
صفارته .

غمغمت مادلين «وجود رجل مشاكس أمام منزلى»
وتساءلت «كيف يمكننى تحمل الوجود معه طيلة يوم
كامل؟» .

كانت القطة تتمسح بقدميها الآن وقالت مادلين لها
«أعرف؛ تريدني الخروج لمعرفة ماذا أعددت لك الليلة؟» .



الفصل الخامس

منزل الأشباح

اقترح جويل عليها وهما ينحنيان عن الكوبرى العلوى بإتجاه
شاطيء وايرز «لماذا لا تشرحين لى عن المكان؟» .

تهدت، فلقد جاء يوم الإثنين رغماً عن دعواتها وصل
جويل بسيارته، ولكنها من ناحية أخرى تمنّت عملتها بنسبة
عشرة بالمائة لو اشترى المنزل .

وإرندت ملابسها بعناية فائقة لاهى محتشمة جداً ولا
متحررة جداً، بنظفون داكن الزرقة وقبص أبيض، كانت
متلهفة على إتمام الصفقة والتخلص منه، رغم أن الخوف
يحتاجها لوجودها معه على إنفراد طيلة يوم كامل .

ردت عليه «لا شىء كثير يمكن أن أقوله سنتجه شمالاً
بمحاذاة سلسلة بحيرات البحيرة التى هنا فى لاكونيا تسمى
خليج أوبيش وهى مرتبطة بنهر صغير يربطها بخليج باجوس
وهذا مرتبط عبر وايرز ببحيرة وبنى بيسوكى، ولو إتجهت جنوباً
ستجد سلسلة كاملة من البحيرات تنتهى عند منبع نهر ميرى
ماك» وقالت لنفسها «لكننى كنت أتمنى فى هذا الصباح
خصوصاً ألا نترك شارع ماكجرىث، يامستر فيرمونت، ربما

أعاني من نقص الفيتامينات؟» .

تساءل «لكن بحيرة ويني بيسوكي هي أكبرهم؟» .

«طبعاً، قطرها إثنين وسبعين ميلاً من المياه، أنا لم أرى أبداً ميدان دائري من المياه» وقالت له: «إستدير من هنا، هبوطاً نحو ميدان شاطئ البحيرة وبيطاء، إتخذ الجانب الأيمن للطريق» .

«هاه، هل ذلك مخالف لقواعد المرور!» أين سأخرج السيارة؟» كان الميدان ملىء بالسيارات .

نصحته «ليس هنا، هذا العداد يحسب مدة النصف ساعة ساعتين!!» قاد السيارة ببطء، أمام مبنى السيارات، وقالت له «هنا كنت أعمل وأنا طالبة في المدرسة العليا» .

سألها «أين سنتجه بعد ذلك؟» .

«في شارع الكنيسة، قبل المطعم تماماً» .

دخل الجراج بسيارته، وخلفهم كانت صفارات السفن، وسألها «كنت تعملين وأنت طالبة؟» .

«نعم، طيلة فترة دراستي، فيما عدا أيام الموسم الرياضي لكرة السلة» .

نزل من السيارة، مد يده لها، رفضته، وثبتت قبعتها؛ وهبطت، وعارضها «هذه القبعة ليست ملائمة» وهما يهبطان الهضبة، القبعة كانت مشكلة، كما تعرف هي، يجب أن تسندها بيديها فالهواء شديد، عند البحيرة، عند قاع الهضبة توقف جويل، ولحقت هي به، وسألته «ماذا تقصد بأن قبعتي غير ملائمة؟» .

«قبعتك؛ لو أراد أحد أن يقبلك فلن يستطيع وهي على رأسك!!» .

«إذن الأفضل أن يتخلى عن تلك الفكرة هل الرجال دائماً أحرار في قبلاتهم يامستر فيرمونت!» تشعر بالمتعة عندما تهاجم أى شيء .

رد عليها «حسناً، ألسنا نحن الزاهدان الصغيران؟ أعتقد أنني تركت كل ذلك ورائي هنا في ماسا شوستس!!» .

«كيف أعرف؟ المتسكعون المجانين، تلك الأمور المعروفة، هل ستقف هنا طيلة اليوم؟» .

«توقفت لتلحقي بي» .

«يمكنك الإنتظار للأبد» .

«سألها «ماذا وضع لك الشيطان في مسلة الغذاء» .

وأضاف هل ذهبت للتسوق من السوبرماركت» .

«بتحفظ أجابته «لا، لم أتسوق هذا الإسبوع أحضرت بعض الأشياء من المنزل، لماذا تسألني؟» .

«لا شيء مهم، أحن أننى موظفاً في محل بقالة» .

«لست بحاجة للتطفل، لا شيء سيء في كون المرء موظف في محل بقالة، السوبرماركت شيء مهم لحضارتنا!!» .

هز رأسه، ومرر يده تلقائياً في شعره «حسناً، لم أفكر في الأمر بهذه الطريقة» .

«يجب أن تفكر، كما تعرف، أحد الأمور السيئة فيك» .

«أظن لا مفر من إيقافك عن الحديث؟» .

«لا مفر، أنت مغرور، هذه مشكلتك، فقط بسبب كونك كاتب ناجح، تنظر بإحتقار لموظفي البقالة!! سر الحياة السعيدة هو العمل الجاد أياً كان موقعك في الحياة!!» نظرت

لتجد قبضتها قد تشددت كأنها تريد أن تلكمه . وتذكرت
غضب عمتها وقالت: ياله من رجل مغرور!!
تحول جوبل فيرمونت إلى شاب لطيف الآن وتأبط ذراعها،
وهما يتجهان للمحطة، وعندما شاهد السائح يتدافعون عند
المرساة المؤدية إلى الشاطئ قال: «بجانين!! لا يفعلون شيئاً
كهذا في بوسطن!!» .

ضحكت مادلين «ميناء بوسطن سيء جداً، حتى أن السمك
يضطر للمشي هناك!! هنا نحتاج جهداً للحفاظ على نظافة الميناء
والبحيرة، فهي ثروتنا وخبزنا وعسلنا!!» .

قادته خلف محطة السكة الحديد إلى منطقة صغيرة حيث الطريق
الواسع مفروش بأرائك وموائد خفيفة، كانت هناك لحسن حظهم
مائدة خالية تحت الظلال، شرب قهوته، وشربت هي البيبس عاد
لموضوعه الرئيسي «البحث؟ أين؟» .

«هنا مباشرة» أشارت أمامهم إلى شجر يغطي المنتزه الصغير،
تنهد «يا إلهي!!» .

وافقته مادلين، كان المكان مليئاً بالنساء والرجال، من كل
الأعمار والأشكال والأحجام، ومختلف الملابس، وأيضاً العرى،
قالت له مادلين: «ضع القلم في جيبك» حدق فيها ووضعه .

واقترحت عليه «ماذا عن الزوجين هذين؟» .
كانت هناك فتاتين عمرهما لا يتعدى السابعة عشر يتهادين
في خطواتهن بالبكينى .

«يا إلهي!!» .
«الأفضل أغمض عيونك قبل أن تحترق» إلتفتت وحدق
فيها وكأنها إنسانة غريبة لا يعرفها وقالت متهمكة: «أنا مادلين
كاربونيو لو تتذكرني» .

«أتذكرك، أنت الفتاة الغيورة، كما أظن» .

«غيورة منهن؟ لا فائدة من مصص شفيتك حزناً، هنا
رجال بوليس لمنع أمثالك، هذه منطقة للنزهة والتسلية
العائلية» .

«أنت غيورة!، يامادلين كاربونيو، غيورة من
تلميذتين!!» .

«إكتب ما تراه، أليس هذا ما نحتاجه لكتابك؟» .
«اللجنة، لا، هيا نذهب لمكان آخر، أين يتجه هذا
القطار؟» .

كان القطار ذى العربات الثلاث قد إمتلأ بسرعة بمجرد
إنتقال السائح من الباخرة إليه .
«لا يذهب لمكان معين!!» .

«الآن عرفت أنك مرحة!! القطار لا يتجه لمكان
معين!!» .

هزت رأسها وهي تتأمله، أديب وروائي بلا خيال؟ الريح
طوحت قبعتها وأمالتها على جانب لتغطي أحد عينيها سألته
«هل أنت واثق أنك كاتب روائي؟» .

كان قد تحسرج في آخر قطرات شرابه ورتبت على ظهره
وأجابها «طبعاً أنا كاتب روائي؛ ما دخل ذلك بالقطار وسؤالي
عن وجهته؟» .

شرحت له «القطار يقود هواة؛ هو يسير آه اللعنة؛
يتجه غرباً من هنا إلى مدينة ميرديث حيث هناك ساحة سكك
حديدية، ويعود عبر واير حتى الميناء، حيث يتوقف وينتقل
الجرار للنهاية الأخرى للقطار، ويعود، وهكذا» .

«أنت على حق، فعلاً لا يذهب لأى مكان يا إلهي!!» .

« هناك متسع في الحياة، وأحياناً الوصول لا يستحق نصف
عناء العودة!! » .

تمدد مستنداً إلى مسند الأريكة الخشبية وأمسك بيديها معاً،
بنعومة « فلسفة؟ ربما أنت على حق، سأذكر هذا، ربما أضعه
في كتابي » .

إبتسمت « يسعدني هذا، كم كتاباً ألفت؟ » .

ظهر عليه الخجل « أهذا حساب؟ » .

« نعم، لو أردت » .

« في هذه الحالة، كتاب واحد » .

« واحد؟ لم تكتب سوى الكتاب الذي لم ينته!! » .

« أنا في طريقي لتغيير وجهتي في الحياة، تاركاً كل
ماورائي، وأبدأ مهنة جديدة » .

« لكن - لكن، أنا أعرف كاتب أو اثنين يا جويل يجب
أن تعرف، حتى لو نجح كتابك الأول، ستممر سنوات قبل أن
تكون ثروة! » .

« سأعيش، جدي ترك لتي ميراثاً جيداً، ألا تعتبرها خطوة
حكيمه؟ » .

« لم يكن لدى الوقت لأفكر في أمور كهذه، الوظائف
ضرورية، وهذه هي الطريقة الوحيدة للإستمرار في الحياة، أنا
أعمل وعمري أربعة عشر عاماً » .

شعرت مادلين بالأسف على نفسها، لقد سرق هذا
إهتمامها، لكن لن أبكى، المرأة المسئولة لا تبكى، هكذا
أكدت لنفسها!! شهقت مرة، ثم إلتفتت لتسمع دمعة من عينيها
غافلتها وإضافت « إذن أنت تغير حياتك؟ لم أدري أنك عجوز
هكذا » .

« عمري ثلاثة وثلاثين عاماً، لكن العمر لا قيمة له في
هذا » وقف وجذبها معه، وهي تثبت قبعتها، التحكم في القبعة
أسهل من التحكم في قلبها، ولسبب ما كان قلبها يعانى!
أشارت إلى المرصاة « القوارب هنا، لماذا لا نذهب لترى
المنزل » .

كانت يده تحت إبطها، نظرت إليه لترى إن كان مهتماً،
وجدته ينظر بعيداً إلى البحيرة، وكأنه يبحث عن سفينة، عن
أرض يغزوها عن مدن يحج إليها، عن امرأة -

سألها بصوت عال « هنا في مكان ما؟ » الريح هنا تجعل
من المستحيل تبادل حديثاً عادياً، إنسلت من يده؛ سألها
« أتعرفين كيف يعمل هذا؟ » وهما يقفزان في القارب، لم
يكن متحمساً، لكنها لديها الخبرة « أنا حاصلة على رخصة من
حرس الشواطئ » .

إتجهت مادلين إلى عجلة القيادة، وصاح « هل كل هؤلاء
الناس مجانين؟ » أشارت إلى طوقى نجاة تحت المقعد وأشارت
إليه بإرتداء أحدهما سألها « من؟ أنا؟ » .

أومات مادلين له، وإرتدت طوقها، وإتجه القارب داخل
قناة حول غرب جزيرة الحاكم، وأصبح بمحاذاة السفينة الكبيرة
« مونت واشنطن » المزدهمة بالسائحين، وبعد فترة أبطأت المحرك
على الشاطئ الجنوبي لجزيرة جلورى، سألها « لماذا هنا؟ » .

« أظنك تعرف، لقد خططت لأذهب بك إلى منزل
مورشيون، تلك الجزيرة بأكملها جزء من المزرعة » .

« حسناً، كان يجب أن أعرف، تمام ياسيدتى هيا إلى
منزل مورشيون » .

ركزت في قيادة القارب وهو يعبر منحنيات القناة بين

الصخور الحادة، لمحت عيناه تومضان وكان هو يضحك!!
عاودت التركيز في قيادة القارب كل هذه المصاعب وهو
يضحك!!

«بعد خمس دقائق كان مطلوباً منها مضاعفة تركيزها لإبعاد
القارب عن القاع الرملي والصخور، وتهدت عندما وصلوا لآخر
منحنى في القناة، حيث تتسع في بقعة ماء جميلة» .
أوقفت المحرك، وقال لها: «لم نصل الشاطئ بعد» .
«أعدت العمة ماري لنا غذاء فخم، يمكننا تناوله الآن
قبل مواصلة الطريق، إن لم يكن لديك إعتراض؟» .
«من، أنا؟ موافق، لماذا لا؟» .

شعرت بعدم الإرتياح، طالما كان القارب يتحرك كانت
آمنة، لكن الآن بمهاراته الإغوائية، يا إلهي، ليست خائفة
فقط، لكن عضلاتها خائرة الآن، مهما كان ما يريد جويل
فهى تريده أيضاً.

جلست وفتحت حقيبة الطعام، دجاج مشوى؛ ليس من
النوع التجاري، بل من تخصص العمة ماري، إرتعشت يد
مادلين وهى تجلس كان جويل يجلس لصيقاً بها، إبتعدت عنه،
لكن ليس بما يكفى، ولم تعد قادرة على التركيز فى وجهه،
كان هناك رغبة عميقة لا تقاوم، فى ذهنها، إغمضى عيونك
وإنتظري ما سيحدث!!

غمغم جويل «أنت طفلة مجنونة مشوشة» وخلعت طوق
النجاة!!

فى المدرسة العليا، تعرفت على أصدقاء وكانت لهم أوقات
مرح سويماً، لكن معظمهم تزوج، والذين لم يتزوجو منهم
لا يستحقون عناية الإرتباط بهم هكذا قالت لنفسها.

كان القارب يهتز بعنف وكأنه يشارك فى سيمفونية الحب
فوق مياه البحيرة، وفجأة فتحت راديو القارب، حيث يبيث
حرس الشواطئ رسائلهم كانت هناك رسالة طارئة تتكرر
مراراً:

«تحذير طارئ من العاصفة تهب على كل أجزاء بحيرة
وينى بيسوكى، الجميع يبحث عن مأوى!!» .

كان مشيداً على سطح مستو تحميه أشجار الصنوبر من الرياح،
لكن الأشجار على أرض سهلة يمكن أن تقتلعها الرياح
العاصفة.

جذبها «ناوليني هذا الذى تحملينه» ناولته الحقيبة،
وتعلقت بذراعه كأنها تحتمى به، سألتها «مستعدة؟» أوامت
برأسها.

إتجها إلى المنزل، فى حماية الأشجار، سارت حافية القدمين
لفترة طويلة، والطريق ليس ناعماً، عند المنحنى التالى
إصطلمت قدمها بنتوء حاد ونزف الدم، ليس كثيراً، فى حالة
الإثارة التى تشعر بها، ومواجهة الطبيعة، لم تلحظه، لكن
جويل لمح الدم النازف من قدمها.

وحملها بين ذراعيه، كانت أذنيها بالقرب من فمه، قال لها:
«لقد شاهدت هذا فى مئات الأفلام كم أنت ثقيلة؟»
«أنزلنى!» الإثارة، الخطر، الرعد، «لا يمكنك القيام
بدور البطل، أيمكنك؟».

ضحك جويل «بدون تضليل؟!!» لكنه أنزلها، ثم حملها
فوق ظهره، ورأسها متدلى لأسفل، شعرت بالإهانة والغضب،
لكنها فكرت هذا ألسن!!، طالما يريد أن يكون بطلاً لماذا
أقاوم هذا، أليس أفضل من المشى حافية القدمين على الأرض
الصخرية؟ بدا منطقياً أنها شعرت بإرتياح وجعلت الأمر
يمضى—

سار جويل خمسين ياردة قبل أن ينهمر عليهم المطر، وجد
ملجأ لهم بين صخرتين، أجلس مادلين، وجلس بجوارها وأغرقها
المطر، كان على بعد مائة ياردة منهم شجرة طويلة جداً، فجأة
إقتلعتها العاصفة لتسقط فى منتصف المسافة، دفنت مادلين



الفصل السادس

العاصفة

صاح جويل «ماذا فعل الآن؟» كانت العاصفة تزأر
«نهرب للمنزل؟».

نظرت مادلين إلى السحب وإرتعدت، البرق يضىء قم
السماء، الريح تهب كاسحة من الجنوب الشرقى من فوق قم
الجبال؛ تزأر فوق سطح البحيرة، المأوى الوحيد المتاح لم، هو
الكهف الصخري الصغير فهى تعرف أن الريح فوق البحيرة
أخطر كثيراً من الريح فوق محيط مفتوح شاسع، تراجعت
وقالت: «لا!!»، خطر جداً فوق البحيرة، ساعدنى للإسراع
بالقارب، ثم نبحت عن مأوى!!».

جويل ردود فعله سريعة، بينما تتلكأ هى محاولة تقرير ماذا
تأخذ، تناول الحبل والمرسة وناولها يده، وقال: «لن يفيدنا
هذا كثيراً؛ لن تحميه من التحطم على الصخرة».
«أعرف، سيقتلنى هنرى لو تحطم قاربه».

«سأقابه هذا الرجل هنرى» وتأبط ذراعها وهبطا الجزيرة
الصغيرة، المنخفضة السطح عند الجانب الجنوبي، وترتفع
تدرجياً حتى تصل لمنحدر عال حاد عند الشمال، المنزل

رأسها بين كتفيه خوفاً وهلعاً.

كان صوت الرعد فى أعقاب الشهب التى تضىء السماء. منزللاً للجبيل؛ ولكن العاصفة همدت لفترة وساد الصمت الجزيرة، وقالت مادلين: «لن تنقطع العواصف سنب مراراً!! يجب أن نبحث عن مأوى».

أجابها: «أعرف، لكن أنظري بسرعة إلى الكهف».

مسحت الماء من عيونها، وحدثت لترى القارب الذى يفتخر به هنرى ويستمتع قد تحطم فى البحيرة. غمغمت «آه، يا أنا!، حمد الله أننى أحضرت الدجاج معى!!».

ضحك جويل «هذه هى الفتاة التى تعجبني، دائماً تهتم بأولوياتها!! تأمين الطعام، وتنسى يخبث ثمنه مليون دولار!!».

«آه!! بالتأكيد ليس مليوناً؟».

صحح كلامه بنفسه «لا، ربما حوالى ألف دولار للقدم الواحدة أى حوالى خمسة وعشرين ألف دولار، ضاعوا من جيبك!!»

تأوهت باكية «يعتمد على جيب من تتحدث، هذا المبلغ أناضل لجمعه وكسبه طيلة عام».

«ياه، حسناً، إذن لتقلق بعد ذلك كثيراً، دعيني أفحص قدمك الجريحة».

إستدارت ورفع قدمها تناول قدمها كأنما يتناول قدم حصان، كان المطر مستمراً، لكن أقل هطولاً وغزارة، وقال وهو يسقط قدمها على الأرض «ليست سيئة، مجرد جرح صغير، لكن يجب ألا تمشى عليها، ويمكن تضميدها الآن - حتى لا تموتى يافتاة!!».

«ألست تتمنى ذلك! فتاة صغيرة أفصد».

ضحك وحملها فوق كتفه «يا إلهى، بالمركب النقص الذى يملأ روحك!! أنت بالضبط نفس الفتاة التى تمنيت الموت غرقاً معها فى جزيرة مجهولة مهجورة» أراحها لهجته وإبتسمت. وصلوا المنزل فجأة، كان المنزل ذى ثلاث طوابق، مشيد بالحجر، هناك جناحين فى الطابق الأرضى، وبالإضافة لتصميمات من الخشب على الطراز القوطى، برجين خشبيين عند نهاية كل جناح، يرتفع كل برج خمسة عشر قدماً أعلى من المنزل وشرفة واسعة تؤدى إلى الأبواب، وأشجار قديمة هائلة تحيط بالمنزل، غمغم جويل «البقرة المقدسة!» وعاودت الأمطار الهطول.

أمرها «إجري!» كان هناك عشب يفصلها عن المأوى، وكانت العاصفة تزار من جديد، إستطرد «الجرى أكثر أمناً من البقاء هنا» وأخذها بين ذراعيه وأضيئت السماء بومضة برق، أحتت مادلين رأسها وجرت، كانت درجات السلم تهتز وهم يقتربان عندما إحتميا بالبواب الخارجى كان الطر صار غزيراً كالفيضان والعاصفة تزجر، وبدأت كالعادة تهدأ من جديد، لتتلاشى الإثارة، ويحل محلها شعور بالخوف، حاولت مادلين إلتقاط أنفاسها وتعلقت به كأنها تستغيث به، بعد لحظات، كانت قد إستعادت السيطرة على عقلها، تحركت مبتعدة قليلاً وهى تبتسم له إبتسامة باهتة.

سألها «أين مفاتيح المنزل؟» كان لديها ردود كثيرة، لكن ما قالته كان مذهلاً لها قبله.

غمغمت «إنه منزل لطيف؛ لو إشتريته سيعجبك ونجبه».

ضحك «دائماً كهذا مندوبى المبيعات، أتريدنى أن أوقع العقود قبل البحث عن مأوى؟ أين المفاتيح؟».

«أنا - أنا، أعتقد أنها سقطت في القارب، أخذت الطعام ونسيت المفاتيح، ولا يهمني إن لم تشتريه آه يا إلهي، لماذا أتلعثم هكذا؟»

ضمها إليه بلطف «الآن، لست مضطرة للتظاهر بالشجاعة، الخطر زال، إصرخي وقولي أحبك» تعلقت به وطوحت بكل شيء، وغسلت نفسها من أفكارها المسبقة بنموعها، وشعرت فجأة بالدفع والأمان، وهو شعور جميل تجرته للمرة الأولى.

إنتزع جويل قفل الباب، بدبوس شعرها، إنفتح الباب، كان الممر الداخلي مظلماً، طوقها بذراعه ودفعها لتدخل أمامه «بعدك يا حبيبي» قالت لنفسها هو لا يعنى ما يقوله، مع ذلك الكلمات تغلغلت في أعماقها.

في وسط الصالة الواسعة، كانت متربة وقذرة جداً، أمامهم السلم المتوى، عند بدايته تمثالان لجنسين من محاربي إسبرطة، تنهد جويل «يوم عظيم هذا الصباح؛ يشبه شاليهات المليونيرات في الميناء الجديد!! كما تعرفين، منزل به ثمانية وثلاثين غرفة، وفناء على فدانين! من يمتلك منزل موريشيسون؟»

«لا أعرف حقيقة، واحد من أصحاب السكك الحديدية في نيويورك، بناه لزوجته الشابة، في عصر بارونات السرقات، هناك لغزو وغموض حول المنزل، في الليلة الأولى له هنا؛ سقط فوق السلم وإنكسر عنقه»
«والأرملة الثرية؟»

«رحلت إلى أوروبا في جولة سياحية، أو شيء من هذا القبيل، أليس هذا مثيراً؟»

دخل الطابق الأول وفتح «آه، المكتب مدفأة كبيرة، شيء الذي نحتاجه حتى نحفف ملابسنا من المطر، لماذا تبحثين عن ملابس أو بطانية، سأشمل المدفأة».

«لا أظن أنني معطوبة» شيء لا تريد أن تبوح به؛ لكن لعب أن تتجنب الإعراف «لم يعش أحد هنا طيلة ثمانين عشرين عاماً!!»

كان راکعاً أمام المدفأة ونظر إليها ووجهه تغطيه تكشيرة اجمة «منزل لا يشتره أحد، أليس كذلك؟ لكن يعجبني، ستمري!!»

الفضب مرة ثانية، واستدارت على عقبها وصعدت السلم، ند أعجبه المنزل؟ كل خطوة تحطوها فوق السلم، يرتفع سعر لمنزل خمسمائة دولار أخرى!!

عندما عادت مادلين إلى المكتب كان جويل قد أشعل نار المدفأة، وهي تجرجر خلفها كنزها!! كانت الغرفة قد صارت أفئة، المنزل ليس به تدفئة مركزية، سألها «ما هذا؟»

«كل ما استطعت العثور عليه، هناك الغرف مظلمة جداً، كنتني وجدت هذه الستائر على نوافذ الصالة، مصنوعة من الحرير».

طوحت الستائر أمامها وكح هو من التراب المتصاعد، وقالت: «حسناً، هذا كل ما وجدته، ونفضت الغبار عنها قبل أن أحضرها».

ضحك «لم أشكو، تعالي، مازالت النار مشتعلة إخلمي كل ملابسك ولفي جسدك بالستارة!!»

«ليس هنا!! أنا لم أعتد العري!!»
«طالما أنت حساسة هكذا، هناك غرف كثيرة لكن هذه

الغرفة الوحيدة الدافئة، يمكنني أن أخرج -» .
« طبعاً الرجل المهذب يتركني وحدي حتى أغيب
ملابسي !! » .

لكن الدنيا برد في الخارج، لكن أظنك أخيراً قررت أنني
رجل مهذب ! » .

غمغمت « ربما كنت غمظة » .

« أمامك عشر دقائق » .

« سارت خلفه لتتأكد من إغلاق الباب وعادت أمام
المدفأة، وخلعت ملابسها وأحكمت لف الستارة حول
جسدها » .

كانت تثير ضوضاء كثيرة وهي تغير ملابسها وتدندن بأغنية
وتجتاحتها سعادة؛ أمر غريب، العاصفة المجنونة، القارب
المحطم، هي مبللة في ماء المطر، وما زالت سعيدة، شعور
لاستطيع تحديده، هي بعيدة عن منزلها، وتقبلت الأمر كما
هو، وهي تتراقص عائدة بظهرها وجدت نفسها بين ذراعيه،
صاحت « أه، لا، لا، لا !! أنت قلت أمامي عشر
دقائق !! » .

« سمحت لك بربع ساعة، ربما أكثر » ونظر في ساعته،
« اللعنة، هذه الساعة مفروض أنها تقاوم الماء؟ دفعت فيها مبلغ
طائل ومع ذلك توقفت ! » .

إتهمت « كنت تخلص على وتشاهدني » .

إعترف « نعم، أنت امرأة جميلة يا مادلين ! » .

شردت، وقالت لو كان يظنها جذابة، ويترجم هذا إلى
رغبة، هذا مالن تتقبله والأفضل أن تكون قبيحة وآمنة « أنا
لست جميلة » وإبتعدت عنه لتقترب من المدفأة .

وافقها « تمام، لم أقصد أنك الفتاة التي تشعل النار في
العالم، فقط شعرت أنك تستحقين المديح » .

وهي تبتعد داس فوق ذيل الستارة الطويل وإنحلت عقدة
رباطها وسقطت على الأرض وضحك « سأخذ الستارة وأعيدها
ويمكنك إشعال النار في العالم !! » وهي تشاهد الآن نظرات
جائعة في عينيه، لم تعد تشعر بالأمان لكن لا يمكنها أن تنكر
إحساسها بالسعادة .

بعد دقائق قال لها: « لنحضر ملابسنا ونعلقها هنا
لنجففها » .

قالت له: « أنت بحاجة لزوجة أو مديرة منزل » .

سألها « هل تقبلين الوظيفة؟ » كانت هي تحرق في النار
عندما تحدث، ولم ترى نظرات وجهه .

أجابته « يمكن أن أفكر، كل أيام إسبوعي مشغولة، يبقى
أمامي عطلة نهاية الأسبوع، أو ربما أحصل على يوم أو يومين من
وقت لآخر، ربما يجب أن تعرف، في سبتمبر قد يكون أمامي
وقت أوفره، أجندة مواعيدي ليست معي الآن » .

« يا للعار، لكن أفسح لي مكاناً في قائمتك؛ الآن السؤال
هو، كيف سنخرج من هنا؟ » .

هزت رأسها، وهي غير مصدقة، وأطلت من النافذة،
أمامهم ساعة حتى يعودوا إلى النهر، ورأت أكثر من ستة أشجار
إقتلعت الرياح، والدنيا مظلمة، والليل بدأ يرخي أستاره
السوداء، والرياح تزارب كأنها ستواصل هبوبها طيلة الليل .

« في هذا الجو ليس أمامنا إلا الصلاة حتى الصباح » .

« هذا يزعجك، قضاء الليل معي؟ » .

« لا، ليس هذا ما يخيفني، لكن - العمة ماري مستلق؛

كما تعرف، سينتابها قلق فظيع». تلاشت تقطيعه وجهه «دائماً تفكرين فيها، أليس كذلك؟» جاء ليقف بجوارها أمام النافذة، وضع يده على كتفها، وبدون وعى إستندت إليه.

«نعم أفكر فيها كثيراً؛ هي التي جعلتني كما أنا الآن، لو لم تكن هي التي تحملت رعايتي ربما كنت في حضارة عمى فريد-».

قاطعها «قائد البوليس؟ يا لسوء ذلك».

«ليس بالضبط، لكن منذ خمس وعشرين عاماً، كان مجرد شرطى، معه ستة أطفال وكانت الحياة صعبة، ربما كنت تربيت على قوة المنافسة لكن-» وتحسرح حلقها بالدموع «لكن أنا سعيدة بحياتي مع عمى ماري، لم أفعل لها شيئاً ولم أرد جيلها حتى الآن».

«هذا لطيف، أنا الإبن الوحيد لأمى، لكن لا يمكننى قول هذا».

«لم يكن لك أب؟»

«بدون أب! طبعاً، آه كان لى أب، لكنه كان مشغولاً بأعماله ولم يهتم بى؛ وعندما أصبح عمرى خمسة عشر عاماً، بدأ يهتم، لكنه مات، كنت لن ألحق جنازته لو لم تذكرنى أمى».

إستدارت لتواجهه «هذا شيء فظيع أن تقول هذا عن أبك!» وجدته يطوقها بذراعيه، وتجمدت للحظة وقالت: «لا، لا تفعل!».

«لا؟ لم أقصد فعل أى شيء؟ أى شيء!!»

«أخبرنى عن والدك».

وجم وجهه «لا شيء يمكن قوله، كان مستغرقاً تماماً فى

عمله، كنت عنيداً، وعندما رفضت التعاون مع العائلة والإنضمام لشركته، أغضبه هذا، وأصيب بأزمة قلبية، وأضاف ذلك إلى قائمة عيوبى ومساوى-».

قاطعته «ليس بك مساوىء» وبعد فترة صمت قالت: «باستثناء-».

تهند «أعرف، لست مضطرة لتكرارها، الغرور والغطرسة، أعرف هناك شيء آخر، لكن لا تذكرينى به، الآن، دعيني أرى قدمك» رغم احتجاجها؛ حلها بين ذراعيه، وإتجه إلى المدفأة، ووضعها أمامها.

كانت راضية بجلوستها فى الدفء، عندما وقف وإبتعد شعرت برعشة الوحدة، رغم أنه لم يتجاوز المدفأة، وإتجه ناحية الصلاة، وبعد لحظات سمعت الباب الرئيسى يغلق، وعاد بقطعة قاش مبلة إستخدمها لتنظيف قدمها.

قال لها: «ليس رديئاً، مجرد جرح صغير، أظننى نظفته»

ضمد جرحها بذيل القميص، كان يعمل وكأنه يفهم مايقوم به جيداً، قالت لنفسها هذه علامته المميزة، منذ يوم أو يومين، كانت الفكرة تزعبها، لكن من حسن حظها أن تلتقى برجل يعتمد عليه كفاء، بدلاً من كل الإمهات اللذين التقت بهم من قبل، لكن أعصابه منغلقة، لكن من الذى لا تستثار أعصابه؟ أنا أسوأ منه على الأقل هو ليس فرنسياً!!

إستدارت فى الستارة الملفوفة حول جسدها، وتهندت قائلة: «الشيء الذى لم أفهمه يا جويل، ماذا ستفعل الآن، وسببه؛ هل أنت جاد بشأن كتابة الرواية؟».

«فكرت الإسبوع الماضى، يامادلين، هذا الإسبوع ربما إكتسبت أولويات أخرى، غباء، كما أظن؛ رجل عمره ثلاثة

وثلاثين عاماً، ومع ذلك يبدو وكأننى رافض الحياة، على الأقل، هذا ما تقوله أمتى».

«يبدو أنها سيدة حكيمة؛ لماذا؟».

«لا، لماذا ترفض الحياة وتتمرّد عليها؟».

صمت لدقيقة «لأن الناس تريد إجبارى على أسلوب فى الحياة لا أريده، لا أريد أن تقص أجنتى، لكن الآن—».

«الآن؟».

«أتصدقيننى، أعيد تفكيرى الآن» ضحك «مثل البيغاء، بدأت أستغرب هل الطيران هو كل شيء، وكفى تطفلاً ياسيدة، إجلسى وإسترخى».

قطع شرود أحلامها «حسناً، الليل أظلم الدنيا حولنا، وأنت الخبيرة بالمكان، ماذا ستفعل؟».

تهتدت «أخشى أننا لن نستطيع فعل شيء الليلة، سيتجمع حرس الشواطئ لإلتقاط الأشخاص المفقودين، لكنهم لن يبحثوا لو واصلت العاصفة هبوبها فى الصباح، سيحلقون بطائرات هليكوبتر، وقوارب مطاطية، على بعد ميلين، كما أظن، ليس معنا جهاز إرسال، ليس لدينا تليفون—».

«ليس لدينا حتى كهرباء، يا إلهى ياله من منزل محطم تريدن بيعه لى، يا مادلين!».

«حسناً، يستحق المحاولة الصفقة كانت ستغضى تكاليف معيشتنا طيلة عام وأنا وعمتى ماري».

«آه، لا أقصد أننى لن أبيع، ربما يحقق عائداً كبيراً، أو يستخدم مركز إستشفاء أو مؤتمرات؛ أو منزل لعائلة لها إثنتى عشر طفلاً».

«إثنتى عشر طفلاً، يا إلهى!!».

ضحك «سأشترى المنزل، كم سيكلفنى؟».

ذهلت مادلين، شعرت بإحساس هائل بالخسران، يريد إستخدامه للمؤتمرات، رجال كبار بمقائب فخمة، سكرتيرات، سلوك فظ «سيكلفك كثيراً» فكرت وأضافت عشرين ألف دولار للثمان الإجمالى «ثلاثمائة وتسمين ألف دولار».

وافقها «تماماً، إشتريت» مد يده كأنه ينهى الصفقة؛ تفكرت، هو كاتب لم ينتهى من روايته الأولى، لا يستطيع شراء مجرد كوخ محطم!! لكن لا تقلقى؛ قالت لنفسها، يجب أن تأمل فى العمولة لو إشتراه فعلاً!! حدثت فى النار، وهى حاملة، وقال لها: «إذن؛ لقد حددت كل الأشياء التى لا يمكننا فعلها الليلة، الآن، ماذا يمكننا القيام به؟».

إبتسمت له «مع أول ضوء لبزوغ الفجر، يجب أن نجهز إشارة أو علامة».

«آه، أى نوع؟».

«فى الخارج سارية علم، تحتاجها شيئاً نظيره فوقها، ويصعد أحدنا فى الصباح ليعلقها حرس يعلمون لا أحد يقيم هنا فى الجزيرة، وهذا سيكون إنذاراً لهم».

«لدى فكرة غامضة من الذى سيتطوع لصعود السارية» ضحك «وما الشيء الذى سنعلقه؟».

«لا أدرى» هزت رأسها «لا أظن أن هذه الستارة ستصمد أمام الرياح، نريد شيئاً يلفت إنتباه الملاح الشاب المتعجل».

«أظن الملاحين معظمهم رجال؟».

«أظن ذلك».

«إذن سنعلق هذا العلم المثير» وأشار إلى الإشارب

الأبيض، هزت رأسها «هل هذا ما تفكر فيه؟».

«ماذا؟ النجدة والإنقاذ؟».

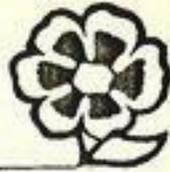
«لا، أنا - آه، إنسى!!».

نطقها بالحروف المفردة «ج، ن، س، كما قلت لعمتك، ليس من فترة بعيدة؛ أليس كذلك؟».

«لا، كل ما عرفه عنه، أنه ثانی شيء محبب لقلب

الرجل، إجلس، لتتناول الدجاج يا جويل، نحن نعاني

الجوع!!».



الفصل السابع

المُنْقَذ

تناولوا عشايتهم أمام المدفأة وفي ضوء نيرانها، وبحث جويل في المطبخ وأحضر فانوساً، وبعض الأشياء الضرورية المخزنة للطوارئ منذ فترة وقال لها: «ها شيئاً آخر!!» وناولها زجاجة خمر معتقة «كلاريت ١٩٢٦، إما فسدت أو معتقة!!».

سألته «أين وجدتها؟ دائماً تلتقط الأشياء لأول وهلة يا جويل».

«إنها معتقة منذ أعوام لكن الخشب حول الغطاء لا يمكن فتحه، مؤكد هناك مئات من تلك الزجاجات هناك، لكن ليس هناك كؤوس، يجب أن نشرب من الزجاجات يا سيدتي، السيدات أولاً؟».

«يبدو لي يجب يبدأ الرجل المهذب أولاً».

ضحك وتناول الزجاجات بين شفطيه «حلو، يا لحسن الحظ!» وناولها الزجاجات، حذرته مادلين «الأفضل ألا تستغفني» وإستغربت سيدة تشرب من الزجاجات؟.

ربما الخمر الأحمر ليس ملائماً بعد وجبة دجاج لكن عموماً، لم يكن لحم الدجاج كثيراً، لكن خمر كثير، ومادلين ليست معتادة على شرب الخمر؛ لكن بإمكانها تحمل المشاركة في الشرب، وهذا الخمر ناعم ومنعش وكانت الريح تعصف في الخارج، والرعدي يزأر في الخارج والبرودة تلف الكون، بينما هنا أمام المدفأة، تشعر مادلين بالإسترخاء من الدفء سألته «كم الساعة الآن؟».

حدق في ساعته «ما زالت متوقفة، لكن—» باعتباري الولد العجوز—».

«دائماً تركز على العجوز؟»
«لا؛ والآن تبسو الساعة الثانية عشر والنصف؛ لو كان بمقدوري لجعلت الفجر ييزغ وأعلق الشارة على سارية العلم، أنا بحاجة للنوم، طبعاً لا يهكم من الذي سيصعد السارية؟ نجري قرعة، أو أي شيء؟».

«لا، هذه مهمة رجالي، هكذا يقولون، ويجب أن تدفع الضريبة، ضريبة رجولتك» وتلفتت عبر الغرفة وأرقت مكتبتها الخالية «لا أظنني سأنام فوق الأرض الحجرية هذه».

وعدها «لن يكون الأمر سيئاً، هذه الوسادة يمكن نفضها بالهواء ويمكنك النوم فوقها».

إعتدلت مادلين «أنت... لا تتوقع مشاركتي لك تلك الوسادة، أليس كذلك؟» كان صوتها غاضباً.

رد بنعومة وهو يجذبها «ها، مجرد إقتراح فقط، أنت صغيرة جداً، عمرك سبعة وعشرين عاماً يا عزيزتي، أليس كذلك؟».

«لست صغيرة، أنا— لو كنت رجلاً مهذباً لتركت لي الوسادة لأنام عليها—».

«وماذا أفعل أنا؟».

«لماذا، يمكنك النوم في الغرفة الأخرى».

هاها!! «ضحك جويل» حتى لا يمكننا النوم في غرفة واحدة؟».

«لا».

«لا، طبعاً لا، سيكون هذا آمناً لك؟».

«لا، لن يكون» قالت لنفسها لن أشعر في قربك بالأمان!! أخيراً إعترفت بهذه الحقيقة!

كان ينظر إليها وعلى وجهه نصف إبتسامة «الحياة ليس عادلة معي، أنت تنامين على الوسادة الناعمة في دفاة المدفأة وأنا أنام على الأرض في غرفة باردة؟».

«هكذا الحياة».

وقف على قدميه مرتدياً الستارة «إذن يمكننا عقد تسوية، أنت تختارين الدفء وأنا الوسادة!».

«لا—» إلتقطت الوسادة ومضى إلى غرفة المعيشة.

أزعجها الصمت المطبق؛ وإرتعدت مادلين، وكان صعباً عليها مقاومة إحساسها به، فلقد جعلته بطلاً ثم حرقوشاً دجالاً ثم بطلاً مرة أخرى، هو كاتب روائي— لكنه لم ينتهي من روايته الأولى، ومع ذلك لا يعانى الحاجة!! يمتلك سيارتين ثمنها باهظ!! لا يشغله المال، مفترض أنه سيشتري هذا المنزل المتوحش.

يلعب الكرة مع الصبية، ويتطلع إليها، في الصباح، الظهر، في المساء؛ ولكن عندما رست بهم السفينة، إكتشفتها، رجلاً كفتاً مهذباً، يعرف كيف يقوم بأشياء كثيرة، ماذا تظنه فعلاً، ما رأيها به؟

غمغمت «حسناً، لقد بنى ذلك السياج اللعين عمى نظنه عظيمًا، بدأت أراه مثلها! آه ياربى، لماذا الحياة مشوشة وخادعة هكذا؟».

وضعت رأسها فوق الحقيبة التى إستخدمت كسرير، لماذا لأنهم جويل فيرمونت الغامض أغمضت عيونها، وتراقص طيف رجل طويل نحيل شعره أشقر عيونه زرقاء مبتسماً لها، شىء فيه قد تغير فى هذه الرحلة، هكذا إعتقدت يبدو أن لديه دوافع خفية وخطط سيبدأ عملها، لكن ماهى؟ قبل أن تجيب، غرقت فى النوم!!

يقول العلماء أن الأحلام لا تعيش سوى ثوانى، لكن مادلين حلمت، وتواصلت أحلامها لم تنقطع، كما لو كانت تشاهد شريط فيديو، كلما إنتهى تكرر عرضه مراراً طيلة الليلة، كان وجهه المشهد الرئيسى فى أحلامها، كان راقداً وهى مستقلة فوقه؛ وكلما وصل شريط تخيلاتنا إلى نقطة معينة، تحل صورة قطنها محل وجهه!!

بدأت تعاني إحباطها، وتقلقها صورة هيرام موريشسون صاحب المنزل القليل منذ أعوام وكأنه ينقر النافذة من الخارج، قالت لنفسها متعلمة مثلى يجب ألا تخاف من الأشباح، العفاريث يؤمن بها البسطاء من العامة!!

مراراً تكرر المشهد، وفجأة إنفتح الشباك كأن يداً قوية دفعته وتساقط المطر، متسللاً الغرفة يصحبه صوت الرعد الذى زلزل الجدران؛ كانت قد قطعت نصف الغرفة قبل أن تفيق من نومها، تصيح، وفتح الباب، إتجهت إليه فهو ملاذها الوحيد، كان جالساً على الوسادة، غير منتبه لما يجرى، وإرتمت برأسها فوق كتفه، تصيح، إستلقى بعد لحظات، محاولاً تهدئتها،

نُعرت بالهدوء والراحة تشملها، وبدأت دموعها تنهمر.
قال بنعومة «إبكى، إبكى!!».
«أنا آسفة».

«لا حاجة للإعتذار، عندما سمعت الرعد كاد الخوف يقتلنى أنا. أيضاً».
«لن تشعرى بمثل ما شعرت أنا من خوف فأنت لا تعرف شيئاً عن المكان!!».
«تحاولين تخوفى».

فجأة عاد إليها وعيها، ليس فى حلم بل فى واقع حقيقى، وقالت له «ظننته شبح هيرام موريشسون!!».
«هل هو الذى تسلق النافذة؟ أنت ضحية مخاوفك يامادلين، الآن يستحسن أن نذهب لنرى ما حدث».
«لا، أنا».

سألها «والآن ماذا نفعل؟».
«لا شىء، فقط كن حذراً هناك زجاج يغطى الأرضية!!».

«مادلين، مادلين!!» كان أحدهم يهز كتفها وهى لا تريد أن تستيقظ، يد قوية ليست يد العمة مارى الناعمة!! حاولت فتح عينيها، كان جويل مرتدياً ملابسه هو الذى يحاول إيقاظها، إعتدلت جالسة وجذبت الغطاء حتى عنقها، قال: «والآن لاشىء من ذلك لقد جاءت الطائرة لنا، هيا، أحضرت لك ملابسك، كلها بجالة جيدة، ماعدا ذلك الذى تتردینه تحبها».

همست «الطائرة؟».
ضحك «جاءت لإنقاذنا، مؤكد الطيار شاهد الشارة فوق

سارية العلم، دار حول الجزيرة مرتين، وهبط عند القناة،
وظهرت قوارب مظافية عند الساحل، هيا إستعدى.»

«نعم، لو سمحت تقف بالخارج حتى أرتدى ملابسى.»
«لماذا، هل تحجلين، لم تبدين ذلك!»

«ربما ليس فى وسطك، آسفة، أنت كنت طيب جداً
معى — إيان تحطم قاربنا، وحتى قصة هيرام موريشيوسون! قصة
سأحكىها لعملائى فى الخريف القادم.»
«كلها؟»

«أخرج من هنا؛ أنت — أنت فاجر!!» وضحكت،
وخرج هو، لكن بعد أن قبلها، وقالت لنفسها «لن أغسل
موضع قبلته لشهر» وإستحسنت هذه الفكرة وهى مندهشة
خجلة، إنسلت من سريرها وإرتدت ملابسها.

كان جويل واقفاً فى الخارج فى ضوء الشمس عندما
جاءت مادلين هابطة سلم الشرفة، تتطوح فى مشيتها وهى
مرتدية حذائها ذى الرقبة، يبدو أن جرح قدمها يؤلمها، كان
جويل يتحدث مع رجل عجوز؛ مرتدياً چاكت الطيران المميز
للاحى البحرية، قدمه لها جويل «چيمى مورفى، الطيار
متقذاً.»

«ألا تعمل مع حرس الشاطىء؛ أعرفهم جميعاً شكراً
لك.»

قاطعها جويل «هنا نذهب، كلما وصلنا بسرعة إلى
لاكونيا حتى نشرح لعمتك ما حدث.»

واقفته مادلين «معتول.»

حذرهم مورفى «الطريق موحل هنا» تأبط جويل ذراعها،
شاهدوا أنواع مختلفة من طيور البحر الجميلة قال مورفى «أعرف

أن عاصفة أمس أنت بأسراب السمان للشاطىء، وغداً
سترونها على أرصف السوبرماركت!!»

قالت بأسى: «أظن يا جويل أن كل ضيوفك فى مركز
مؤتمراتك سوف يصطادونها جميعاً.»

«لن يستطيعوا، سأضع علامات تحذير.»

قال للملاح: «ربما إندهشت لرؤية الشارة على سارية
العلم يا مستر مورفى.»

«آه، فعلاً، لم أرى مثلها أبداً.»

قاطعه جويل «لم تكن مهمة؛ ما نحتاجه هو زيارة سريعة
لقائد بوليس المدينة.»

شاهدت مادلين حطام القارب وتهدت «آه كيف سأشرح
لهنرى كل ما حدث؟»

«ليس بحاجة لشرح، القارب تحطم بقضاء الله وقدره، أم
أنك ستحملين تعويضه على ثمن المنزل.»

قالت لنفسها: «لو نجحت الصفقة يمكن لهنرى شراء قاربين
بشمن عمولته!!»

وسألته «إذن لم تغير رأيك؟»

«لا، لم أغير رأيى، سأجعله مركز مؤتمرات.»

«لكن لماذا يحتاج كاتب رواى مركز مؤتمرات؟»

«مادلين! أنا مرهق، لم أتم ليلة أمس، ولا قبل أمس،
لهذا السبب، هل تسدين لى معروفاً وتصمتى؟»

«حسناً، هذا ليس لطيفاً.»

وجدت صعوبة فى ركوب القارب المطاطى ثم الإنتقال إلى
الطائرة، وجلست فى المقعد الخلفى لمقعد الطيار، وجلس جويل
فى المقعد الأمامى، قالت لنفسها هكذا الرجال دائماً، وأسندت

رأسها للنافذة وغرقت في النوم، أيقظها الصمت بعد رحلة قصيرة فاتها مشاهدة أجمل المناظر التي تترين بها الجزر عقب العاصفة المطرة، ساعدها جويل على النزول من الكابينة .
وجدت سيارته التي تركوها في الجراج منتظرة عند الشاطئ؛ ففز إلى ذنها الشك وسألته، وأجابها: «ليست معجزة، ألم تسمعين عن اختراع إسمه الراديو؟ طلبت من مورفي الإتصال بالجراج لإحضار السيارة، الآن بإمكاننا العودة» .
إبتسمت له أرق إبتسامة وإستندت بظهرها على المقعد وإنطلقت السيارة عائدة بها إلى المنزل، كانت المدينة جميلة في أجمل منظر، وعندما وصلوا إلى شارع ماكجريت شعرت برغبة في الجرى إلى المنزل، تطرق كل الأبواب تحكى لعمتها كم كان يوماً مدهشاً، أوما لها بالنزول، وأسرعت هي، كان بمقدوره الإستماع لندائها داخل المنزل، كانت مادلين واقفة في المطبخ، كان البيغاء حبيساً في قفصه على قبة الثلجة، ويدندن «الصغيرة الرقيقة» القطة جالسة عند الباب، وأسرعت بمجرد سماع صوت مادلين، جاء جويل بعد خمس دقائق «ما المشكلة؟» .

«لا أدري، العمة ماري ليست هنا» .

محاوياً تهديتها «لا تقلقي، ربما ذهبت لأحد صديقاتها، ربما في شرفة منزلي، أمي كان مقرراً مجيئها أمس، كما تعرفين» .
«لا، كانت تركت لتي ورقة، هي قلقة لأنني لم أعد ليلة أمس، لا، مؤكداً خرجت» .

أسرعت إلى غرفة المعيشة، وجدها تدير التليفون وسمعتها تقول «البوليس، أريد محادثة القائد» «بعد لحظة صمت» «لا، لا أريد محادثة الرقيب، أريد محادثة عمي فريد، القائد، نعم

عمي!» .

وضعت يدها على الساعة وهمست له .

«هم يكرهون الذين يطلبون محادثة القائد!!» .

«لكن لماذا تحدثين عمك؟» .

«سمعها تنغمم» «آه، يا إلهي!!» .

سألها «ما هذا؟» .

«عمي في المستشفى، وإتصلوا بعمتي في الصباح!!» .



الفصل الثامن

زواج في المستشفى

وهي تهبط السلم بسرعة شرحت له «لقد طلبت المستشفى قالوا: إن عمتي هناك، تقوم بتمريض عمى، ولن أراها قبل الثانية عشر ظهراً» إندفعت وإرتدت بدلتها الرمادية وبلوزتها البيضاء «أنا - لا أثق في المستشفيات عندما يتحدثون بهذه اللهجة، لكن عمتي ستصدم لو لم أرتدي فستاناً و-».

«هيه، لا تجعليها تقلقك، أنا واثق أنهم يعنون ما يقولون» .
تغضن جبينها بعلامات إهتمام قلق، ولم يعجبها نظرة عينيه، ودارت رأسها بأفكار غريبة، عمى في الثمانينات، حدثت فيه، وكأنها تستطعف عونها لها وصاحت «هيا لتسرع!!» .

وضع يده فوق كتفها «إهدئي يامادلين، أمامنا ساعة حتى يمكننا لقائنا؛ إهدئي» أزاح بيده خصلة شعرها للخلف، وهي تعض شفتيها إحباطاً، وسألها «كم نبعد عن المستشفى؟» .
«حوالي عشر دقائق، هل يبدو أنني بخير؟» .

موكداً لها «طبعاً» .
وشردت كعادتها بفكرها، وكذلك أنت دائماً؛ لقد ذهب إلى منزله وغير ملابسه، وإرتدى بدلة رمادية ورباط عنق،

كانت بدلته مشابهة لبدلتها في اللون، عندما حاولت التراجع أمسك بيدها وقبل راحتها المفرودة، كان في أعماق زرقة عيونه سرور واضح بها، وإبتسامة تشمل وجهه؛ قال لها: «وهو كذلك؛ يستحسن أن نذهب» قالت لنفسها إنه يغمرنى بمشاعر الشفقة!! وإجتاحتها الغضب؛ وهدأت نفسها وهي تقول لقد وقعت في حبه من أول نظرة، إذن ماذا حدث الآن؟ هو لا يحبك، ولا حيلة لك في ذلك؟ وموامرتك لإبعاده عنك جعلت الأمور تسير نحو الأسوأ!! على الأقل قبل أن تكتشفي مدى حماقتك، والآن أنت واثقة من حماقتك!!

وهو يضع يده فوق كتفها ويقودها ناحية السيارة ويفتح لها الباب ويجلسها في مقعدها بجواره قال لها: «لا أريدك أن تنهاري في المستشفى» .

كان خوفها على العمة ماري يحتاج كل تفكيرها، ولم تلحظ أنه مضى في طريقه دون سؤالها عن الإتجاه، كانت المستشفى العام لمنطقة البحيرة ليست ضخمة، لكنها تستقبل عدداً لا بأس به من المرضى، معظمهم سائحين أحرقت الشمس جلودهم صيفاً؛ أو الذين كسرت أرجلهم في الشتاء؛ وجلوا العمة ماري مستقرة في غرفة صغيرة في نهاية الجناح؛ كان السرير الثاني في الغرفة خالياً؛ إندفعت مادلين إلى الغرفة؛ متجاهلة تحذير الممرضة؛ كانت العمة مستلقية في السرير، المرفوعة رأسه في وضع الجلوس، كانت تشبه دمية صغيرة، كان العم فريد جالساً على مقعد بجوارها، وإنتفض واقفاً عندما دخلت مادلين وجويل «حسناً، جئت يامادلين» طبع قبلة فوق جبينها «حان وقت رعايتك لنفسك!» عندما إتجه العم إلى الممرسأ لها جويل «هل هذا هو قائد

البوليس؟» .

«لا، هو عمى فريد، هو دبلوماسى جداً عندما يرتدى قبعة البوليس!» وإتجها إلى السرير.

كانت العمة شاحبة جداً، على وجهها تعبير مرعب وصرخت مادلين «آه يا عمتى» وركعت بجوار السرير ووضعت يدها فوق جبينها .

إلتفتت العمة «ماذا حدث يا صغيرتى؟» إتجه جويل ورفع السرير قليلاً، إبتسمت العجوز له، وإسترخت، وغمغمت مادلين «هبت العاصفة كنا فى الجزيرة عندما هبت، وذهبنا إلى منزل موريشون للإحتواء به؛ والقارب تحطم؛ لذا إضطرننا لقضاء الليلة هناك، أشعر بمرارة شديدة بسبب قلقك على كثيراً!!» .

إبتسمت العمة بلطف «لم أقلق عليك، لقد ترك جويل رسالة يخبرنى أنك ستقضى الليلة مع أصدقاء، الشئ الوحيد الذى أزعجنى هو خوفى من المستشفى، تعرفين أثنى جبانة، الآن أشعر بتحسّن، لرؤيتكم سعداء معاً!» .

«آه يا عمتى» تحرك جويل ووضع يده فوق كتفها، واصلت العمة حديثاً «لا، لم أكن قلقة جداً، كنت أعرف أن جويل معك— ولدى ثقة لا حد لها فى جويل، من هم الأصدقاء الذين قضيتهم الليلة معهم؟» .

«أصدقاء، نحن—» .

قاطعها جويل «كنا وحدنا، نحن الإثنين فقط» .

«أنتما الإثنين فقط؟» تفحصت بنظراتها الحادة العجوز كليهما، وتلاشت إبتسامتها .

خطا جويل ناحيتها وحكى لها القصة بأكملها بكل

تفاصيلها غير ملتفتاً لإحتجاج مادلين الخفى .
إنتهت حكاية جويل للعمة وأضاف مؤكداً لها «إبنة أخيك لم تفعل شئء تخجل منه» .

قالت العجوز: «لا أذكر أحداً تحدث عن الخجل؛ لم أخجل أبداً منها، ولا أظننى سأخجل منها الآن، توقى عن البكاء يا مادلين! هكذا هى إبتنى» مسحت جبينها بيدها بلطف وحنان، ومسحت شعرها كما كانت تفعل لها فى طفولتها .

إبتسمت مادلين «أنا سعيدة أنك فهمت الوضع يا عمتى، أظن أن هناك كثيرين فى لاكونيا لن يفهموا!» .

ردت العمة «طبعاً، الزمن تغير كثيراً عما كنت شابة مثلك، الحب، التليفون، الراديو، التليفزيون، السيارات، النساء يعملن خارج المنزل، كل شئء تغير، لكن الطبيعة البشرية لم تتغير لكن مع ذلك يجب ألا نقلق، يا حبيبتى، الجيران سيثرون؛ لم يعد فى العمر متسع للقلق، وأنت شابة يمكنك الانتقال لمكان آخر لو إضطرت لذلك؛ لا تقلقى أبداً، مستر فيرمونت رجل لطيف، المدينة كلها ستعرفه مع حلول الليل، لكن يجب ألا نهتم بشائعات المدينة!!» وألقت برأسها فوق الوسادة وهى مبتسمة، عيناها تلمع ببريق داخلى وكأنها تستشرق الغيب!!

قالت مادلين لنفسها حدود عمتى العجوز سرى فيها الدم، كما لو كانت سعيدة لشئء ما، غمغمت «آه يا عمتى» كانت كلماتها تتخلل دموعها «لم أفعل شيئاً— أى شئء لمساعدتك وأجعلك تتحسنين» .

تهدت العجوز «لا أظن أن هناك شئء يفيدنى، لكن

أعظم أمنياتي كانت دائماً..»

قاطعها جويل «أظننى أعرف الإجابة، أنا ومادلين سنتزوج، ألا يحل ذلك المشكلة؟»

إنفجرت الكلمات فى عقل مادلين مثل قنبلة نووية، أنا ومادلين نتزوج!! لن تتمنى شيئاً من هدايا شجرة عيد الميلاد أهم وأفضل من ذلك! وما زالت—

عارضته «لا يمكنك فعل ذلك ولا يمكننى أن أطلب منك ذلك! سمعتى ليست بهذه الأهمية!»

أكد لها «لا يجب أن تطلبى أنت، أنا الذى أطلب وسمعتك وسمعة عمته تمنى، فوق ذلك، طالما أننى سبب المشكلة، يجب أن أكون حلها»

إعترفت العمه المعجوز «دائماً كنت أتمنى رؤيتك متزوجة؛ سيكون شيئاً رائعاً يا مادلين لو عرفت طريقك بوضوح، ليس بسبب تلك الشائعة السخيفة، لكن بسبب— حسناً؛ تعرفين أنك تحتاجين رجلاً قوياً، يا عزيزتى، زواجك من رجل ضعيف سيدمرك، لكن من رجل مثل جويل— سيكون رائعاً!!»

تفحصت مادلين وجه عمته، كانت مبتسمة وتلهف وسرور لم تره فى عينيها منذ سنين.

كرر جويل «سأكون سعيداً لو تزوجتك يا مادلين» وضع يده حول كتفها.

غمغمت «من أجل عمته؟»

أصر «من أجلنا جميعاً»

إلتفتت إلى عمته «ها هى قد حلت يا عمته، الآن يجب أن تتحسنى بسرعة حتى تحضرى الزفاف»

أعلن جويل «أنا بحاجة لمحادثة فنانى» تناول يدها وخرج

بها ناحية الصلاة.

صرخت فيه «يجب ألا تلعب دور طرازان، يجب أن أعالج من جرح العاصفة حتى أطمئن!»

«لا تقلقى من جرح صغير، ألا ترين الفرح فى عيون عمته؟ الحدود المتوردة؟ هى مريضة يا مادلين، هذه علامة الحمى، يجب أن تتجنب الإثارة القوية! هى تريد زواجك بسرعة، ولو تأجل للغد— من يدري هل سيكون لها غد!!»

إستندت عليه وكان قدميها عاجزة على حملها «آه يا عمته! هل ستموت؟»

«لا أدري، لست طبيباً، هل أنت مستعدة لإقتناص الفرصة؟»

أجابته «لا، أنا— لا أريد ذلك، لكن كيف—؟»

«سنتزوج الآن هنا، بجوار سريرها، يمكننا الإتفاق مع المستشفى»

«لكن— لكن نحن بحاجة لتصريح، ووقت»

إترك لى الأمر والتفاصيل يا مادلين»

عادوا إلى الغرفة، متأبطى الأذرع «عمته»

«أنا لست نائمة، أريح عيني فقط، أشعر كأننى كنت مصابة فى حادثة، الآن ماذا ستفعلون؟ حددتم موعد الزفاف؟»

أجاب جويل «تمام، أيمكنك أن تكونى شاهدة الزفاف؟»

«لا أدري متى يمكننى»

«لا تقلقى، لو تحملت الصدمة، سنتزوج هنا بجوار سريرك»

حاولت الاعتدال لتجلس «آه يا اينتى !! متى قررت عمل هذه المراسيم؟» .

«فى عشر دقائق، لو وافقت على زواج ابنة أخيك منى» .

«عشر دقائق؟ طبعاً أوافق يا مادلين!!» .

«تعجبت مادلين «عشر دقائق!!» .

بحسب أكد جويل «عشر دقائق، تبسمان لبعضكما وأنا سأنزل للصالة لمقابلة القسيس» قبل مادلين والعمة .

«قالت العمة لها «أمسكى يدى» .

خرج وهى تبسم له، ووجدت هنرى جاء خلفها وقال: «جئت بمجرد سماعى، لكن الرسالة مشوشة ماذا حدث يا مادلين؟» .

رد جويل «إذنت أنت هنرى» وعاد للغرفة حدق «هنرى فيه، كأن عداء انفجر بينها» .

قالت مادلين: «لا أدرى شيئاً عن الرسالة، هل بخصوص زفافى؟» .

صاح هنرى «آه، أخيراً!!، إذن أخيراً عاد إليك عقلك يا مادلين!!» .

«نعم، أظن ذلك، لكن—» .

«لكن هذا هو الوقت الملائم» كانت لهجته كأنه فاز بيانصيب إنجلترا، وأضاف «يمكننا قضاء شهر عسلنا» .

تهتت «آه يا هنرى!!» فتحت العمة عيونها وحدقت فيه .

قاطعها جويل «أظنك فهمت خطأ، أنا العريس ولست أنت!!» .

شعر هنرى بالصدمة؛ وجهه الأحمر صار شاحباً، جذب

مندبل يده من جيب المعطف ومسح جبينه «مادلين!! لا يمكنك أن تفعلى هذا بى، لقد حطمت قلبى!!» .

علق جويل «أخبريه عن بيع منزل مورثيسون» كانت غطرسته واضحة!!

تراجع هنرى «أظن أن صفقة المنزل تشفى قلباً عظماً!!؟» .

إعترفت مادلين «وقارباً عظماً أيضاً، العاصفة حطمته، لم يتبقى منه شىء» .

أمرها جويل «أخبريه عن سعر الصفقة، أنا واثق أن القارب مؤمن عليه» .

سأله «هل أنت واثق؟» .

أجاب «أنا واثق، يبقى معنا لحضور الزفاف يمكن أن تكون شاهداً» .

«حسناً، المال لن يشفى قلباً عظماً، لكن مبلغاً كبيراً قد يخفف الألم!!» .

غمغم جويل «إذن يجب أن تحمد الله» .

حدقت مادلين فيها، هنرى تستطيع أن تفهمه— رجل يحب بعمق وإخلاص، محفظته محور كل إهتمامه!!، جويل شوش

ذهنها، تقسم الآن أنه أظهر علامات غيرة سوداء، كانت ستسأله سؤالين لولا حضور زائرين أولها تعرفه، هارى لودوس،

الأخرى امرأة فى الخمسين طويلة، قال جويل بلطف: «آه، اللعنة، ماذا تفعلين هنا يا أمى؟» .

أعلن هارى «أظن أن كل شىء تمام، هذا مشير، أليس كذلك؟ لم أفعل شىء مثل هذا أبداً! أهذه هى الخطيئة الصغيرة؟» .

ابتلعت مادلين من أجل خاطر جويل، كرر هارى «مثير، وهذه هى أم العروسة؟» إعتدلت العمّة لتصحح له، لكنه إختفى أسرع من الريح، وإلتفت إلى أم جويل «وأنت-». صاح أم فيرمونت «ماذا يجرى هنا؟» كأنها تطلق أول طلقة فى الحرب العالمية الثالثة.

تدخل جويل «هذه أسمى، لم يكن وجودها ضرورى للمناسبة، سأتزوج يا أسمى».

حدقت أمه فيه ثم فى مادلين «الطفل لا يعرف فعلاً ماذا سيقع فيه!!، يا حماقتك يا جويل أنت أحمق، أقولها بنفسى!!».

«أكبر أخطائك يا أسمى أنك تتحدثين كثيراً أظننى بإمكانى تولى أمورى بنفسى لو أغلقت فك!!».

شعرت مادلين بفضيحة الحوار «جويل!!» فى حياتها لم يتحدث أحد لأمه بهذه الطريقة!!

نظر إليها «إصمتى يا مادلين» ثم إلتفت لأمه «كلمة زيادة يا أسمى ولن أرسل لك شيكا الشهر القادم!».

قالت العمّة بصوت ملؤه الدهشة «بداية طقوس الزفاف، ليس لدى وقت أضيعه، أنا بحاجة للراحة».

جاء الدكتور بورتون على صباح الزحام، كان يبدو مصاباً بنزلة برد، كانت كحته تزعجه كان هارى لسودوس بادى الفخر والسرور بجوار السرير، وإنتقل للجانب الآخر من تلقاء نفسه وأخذ هنرى معه، الأم أغلقت فيها ووقفت واجبة، تحدث هارى «والآن إذن؛ يا عزيزى المحبوب-» وفتح كتاب صلواته.

وقفت مادلين متصلة بجواره عاجزة عن الإلتفات برأسها

لتراه، أمسكت بيدها العمّة مارى تحديق فيها بتوتر شديد، والحب ملء عيونها.

شعرت مادلين بتشوش من هذا الزحام، وقالت لنفسها لنُدع الأمر يتم أمام العمّة، لتشعر بالفرح، هذا كل ماتريده، لماذا فعل كل هذا؟

رفعت رأسها، كان القس يحديق فيها إنحنى جويل وهمس لها «قولى أريده».

«أريده».

كل أحلام الصيف الشابة التى حلمت بها مادلين كارينيو أن تهبط درج الكنيسة مرتدية فستانها الأبيض فى طابور الزفاف، بينما ينتظرها عريس طويل عند مذبح الكنيسة، كلها تلاشت. كانت هناك زهور، باقة ورد بجوار سرير العمّة، لكن رائحة الورد لا تطفى على رائحة المضادات الحيوية!! وهذا ما ستبقى ذكراه طيلة حياتها، قالت مادلين لنفسها، لكن كله من أجل العمّة التى ربما بقى من عمرها ساعات معدودة.

تبليت عيون العمّة بالدموع، كانت تبكى وتحاول كتم بكاءها، الغرفة صامتة، كأن العالم قد أقلع عن الضجيج، وقال القسيس «أعلن زواجكما أنت وزوجتك، قبل عروسك».

كانت مادلين واقفة، ادارها جويل ناحيته وقبلها بلطف على خدودها.

قالت أمه وهى خارجة «لن أقبل هذا سنتحدث يا جويل!!».

قال القسيس: «يجب أن يوقع الشهود هنا»

قالت العمّة: «الحمد لله أن تم الزواج».

وهو يوقع سأل هنرى بلهفة «ماذا عن الصفة؟».

رد جويل « سأتصل بك، يا إلهي، هذا زفاف يا رجل
وليس عقد إتفاق للبيع ».

إنحنت مادلين على عمتها « عمتي؟ أنت بخير؟ تم الزواج،
أرجو أن يسعدك ».

ابتسمت العمّة « نعم يا صغيرتي، تم وأنا سعيدة، كما أنك
ستكوني سعيدة، هو رجل فعلاً؛ ثقي به ».

« أنا، نعم، طبعاً، أنا نعم ».
أعلن الطبيب « تمام، هيا، الزوار في حدود إثنين،

والزيارة نصف ساعة، واضح! ».
قال زوجها « هيا يا مادلين نعود للمنزل ».

كرر القسيس « أطيب التهاني ».
غمغم جويل « مثل الفأر الأبيض في » أليس في بلاد

المعجائب « وهو ينظر للقس وهو يمسي ».
قال هنري: « سأتصل بك حول تفاصيل المنزل آه، نسيت

تماماً، أطيب التهاني! ».
« ياه، أطيب التهاني لنا جميعاً، هيا نعود للمنزل

يا زوجتي ».
كان الطبيب في الغرفة ليتأكد من ذهاب الجميع وقال:

« لم أفهم فعلاً ماجري، أنت جئت للمستشفى لفحصك
السوي، وإبنة أخيك يبدو أنها جاءت مرعوبة ».

قالت العمّة: لا تسألني، مادلين عنيدة، وهي التي قامت
بكل ترتيبات دخولي المستشفى منذ ثلاثة شهور، يجب أن تنتهي

بسرعة، هناك أمور مثيرة تحدث في المنزل، وأنا أتلهف!! ».
« ليس هناك إثارة أكثر، سأقول لزوج إبنة أخيك، يبدو أنه

قادر على حلك بين ذراعيه أننا الإثنين، ما اسمه؟ ».

« فيرمونت، أليس اسماً رومانسياً؟ ».

ضحك الطبيب « رويديو أفضل ».

ظلت مادلين صامته طيلة الطريق، عندما نزل جويل من
السيارة ليلحق بها ومبتسماً ابتسمت وتظاهرت بالسعادة.

مادلين غمغمت له « شيء رائع ما فعلته، لا أدري كيف
أشكرك يا جويل، أيضاً شيء مدهش، لم يكن لدى أي فكرة،

حسناً، أعرف أن عمتي كانت تريد زواجي، لكنني لم أتوقع
زواجاً مفاجئاً كهذا، هل أنا واضحة؟ ».

« طبعاً؛ دائماً صريحة؛ ذهنك واضح، يا مادلين
فيرمونت ».

« لا أشعر أنني سوية الآن، عالمي يدور بي في دوامة » ثم
صمتت.

عند الشرفة كانت القطة واقفة كأنها تحرس المنزل، وكان
البقاء يصبح « قطة مجنونة!! » « قارب النجاة، الصغير

اللطيف ».
قالت مادلين: « حسناً، على الأقل ما زالوا على قيد

الحياة، أن تحمي لتناول فتجان قهوة؟ ».
« طبعاً ».

غمغم جويل « أتمنى فقط أن تبقى أمي هنا يوم واحد »
وسار خلفها، قالت مادلين لنفسها، أنظري إليه، يمدق في

المائدة، ممتلىء وقادر ودافئ، وهو زوجي!! ركزت، محاولة
إستعادة كل ما حدث اليوم « جويل، أظن أننا، أنا وأنت

بم حاجة لحديث ».
« وهو كذلك، بدون إنفعال ».

« هناك شيء ممتع يجري حولنا، يا جويل فيرمونت، ربما

أشياء كثيرة، لكن أستطيع تناول واحد فقط».

أزاح خصلة شعره عن عينيه وإبتسم لها وجذب مقعده بجوارها «لدى نفس الإحساس حسناً، أكثر من إحساس، أنت لست روائياً!».

دافع عن نفسه «ليس حقيقياً، أنا كاتب روائي، أريد أن أصبح كاتباً، لكن أعمال العائلة تفرق رأسى، هذه الأعمال تطعم وتكسى أمى، وأنا، وقبيلة من الأقارب لقد تجاهلت هذا، إن كانت هذه هى الكلمة الصحيحة، لم أرد أبداً أن أكون رجل أعمال، قلت هذا دائماً، أكره رجال الأعمال، حتى لحظة أن قلت لى شيئاً فى الرحلة، أتذكرين؟».

أخشى أننى لا أذكر، يبدو وكأنه من عشرة أعوام - كل ما جرى».

«قلت أنه لا يهم ماذا تفعل، طالما تبذل قصارى جهتك وقدراتك، أتذكرين؟ وهذا جعلنى أصحح تفكيرى، كنت اللعب فى حياتى وألمو؛ متجاهلاً كل مسؤولياتى، وأنت جعلتني أضع يدي على الطريق الصحيح، بكلمة واحدة، ياسيدتى، إذن الآن، ساكون الأفضل هنا، الأجنس...».

«عامل بقالة! فيرمونت!! سوبرماركت؟».

ضحك «أعرف مدى ذكائك ولا يمكن إستفمالك أبداً، فعلاً سوبرماركت، إثنين وخمسين سوبرماركت فى البلاد كلها! أنا الذى أديرها، أنت نائبة الرئيس مسئولة عن كل شىء».

«ها، ماذا أعرف».

«تعرفين ماذا تريدلين من السوبرماركت، وأنا أعرف ماذا أريد منك، سنكون فريقاً مدهشاً يامادلين، فى المنزل وفى

العمل».

«لماذا يا جويل فيرمونت» تنهدت بسعادة وهى تقف «أعتقد أنك خروف فى زى الخروف، وبدلاً من حديثك إشرب القهوة وهى ساخنة!!».

المعلومات ؟ » .

« حسناً ، ليس بالضبط ، لقد حصلت على معلومات غير مهمة ،
عمتك تحسنت ، ستعود للمنزل غداً ! » .

قالت متشككة « لماذا ، أخبار مدهشة ، أوافق أنت ؟ هل قالت
لك الممرضة ؟ » .

« توقعت أن تقولى ذلك » .

قالت : « إذن سأذهب الليلة أثناء مواعيد الزيارة ، وأعطيت
بعض الملابس لكى تحمى بها » .

« لا أظن أن ذلك تصرف حكيم ، عمتك بحاجة للنوم ، كما
تعرفين ، لا أظن أن الطبيب سيسمح بزيارة إضافية ، وعمك
سيحضرها غداً للمنزل » .

ردت « سأذهب للسرير ، طاب مساؤك » .

« طاب مساؤك » .

ذهبت وذهنها مشغول بأشياء أخرى ، نظفت أسنانها ،
مشطت شعرها ، نظفت وجهها من الماكياج ، كانت القطة تحت
قدمها وهي تدخل غرفة نومها « عمتى ستعود غداً !! » .

كان رأسها يوج بأفكار غامضة ، وقائع جلست على حافة
السرير تفكر ، غداً ستتضح الأمور ، هزت رأسها ، لكن النوم
عصى جفونها والسهاد أبى أن يفارقها ، تناولت رواية كانت
تقرأها طيلة إسبوع ، وضعت الكتاب فوق بطنها وإستمعت
لضوضاء آتية من الخارج ، إنفتح باب غرفتها « يا إلهى ماذا
تفعل فى غرفة نومى ؟ » إعتدلت على السرير ، بينما شبح
يتحرك ناحيتها « جويل ؟ » .

« حسناً ، أنا زوجك » .

« آه يازوجى ! ، أظن أننى نسيت مسألة الزواج !! » .



الفصل التاسع

اللفز

أقلت مادلين بجسدها فوق الأريكة فى غرفة المعيشة « لقد ذهب
الجميع » كانت شمس الأصيل يمكن رؤيتها فوق قم الجبال المحيطة
بالمدينة . وشردت وهي تقول لنفسها ، أنا امرأة متزوجة خلال إثنى
عشر ساعة ! إجتاحتها الفكرة وإبتسمت لها .

أكد جويل « الجميع ذهبوا ، يبدو أن مستر سالومان كان
متعباً » .

ضحكت « ومستر هاتسون كان شاردأ لا يبدو أنه يعرف عن
مشتروات البقالة ، أظن أن زوجته تعرف أكثر منه » تنهدت بإرتياح
وهي تخلع حذاءها ، مظهر المديرين تماماً فى منتصف يوم زفافها ،
أزعجها ، ولا تدرى كيف تعيد ترتيب الأمور .

قال جويل « الآن هناك فكرة ؛ لجنة من الزوجات للتسوق
ولتقدير أفضل إدارة ؟ ربما أطرح ذلك على المجلس بعد نقلهم » .
« نقلهم ؟ » .

« نعم ، سأنقل المقرات الرئيسية للشركة فى لاكونيا ، أحب أن
تكون هنا » .

قالت بنعومة « وكذلك أنا ، قلت أن الطبيب أعطاك بعض

«أعرف لكننى لم أنسى، أتحاولين أن تقولى أنك لم تكونى تريدين زواجى؟» .

«أنا - لا، لم أحلم بذلك، كيف أنسى.» .

ضحك «سقطه فرويدية.» .

«لا أدرى كثيراً عن هذا، فيما عدا ماأشاهده فى

التليفزيون.» .

«تناول القطة «هذا لا أتحملة» إتجه إلى الباب وطوح به

فى الصالة وأغلق الباب خلفه .

غمغمت «يبدو أنك -» .

ضحك «الأفضل أن أكلك !!» .

أرعدت الدنيا وبرقت السماء وعانقت النجوم القمر،

وتطابت الأرض لتعانق السماء، وضحك وهو يقول لها: «إن

كان هذا ماتعلمته من التليفزيون، أريد مشاهدة تلك

القناة !!» .

أشرق الصباح مضيئاً سعيداً مبكراً، ولم تنتبه مادلين، لقد

ظلت مستيقظة مع زوجها حتى بزوغ أول خيوط ضياء النهار،

كانت الصالة باردة على قدميها الخافية، لكن جرس الباب

يدق للمرة الثالثة، وصلت مادلين للباب، وهى منكوشة الشعر

غير مرتبة الهندام، كانت العمة واقفة بالباب «آه،

ياعمتى!» .

«قبل أن تحتضينى حتى الموت.» .

«أدخلى ياعمتى، صعب أن أصدق! أمس كنت على

وشك الموت وكنت أنا بمفردى عزباء والآن أنت شفيت وأنا،

تعالى يا حبيبى!» .

«على وشك الموت؟ لا أذكر هذا» إتجهت العمة إلى

المطبخ وجلست بجوار المائدة وأمرتها «أعدى الشاى، لا يعرفون كيف يعدون الشاى فى المستشفى، أو أى شىء آخر للأكل، بالمناسبة.» .

«آه يا عمتى! لقد إفتقدتك كثيراً!!» .

«أشك !!، كما أذكر ليلة زفانى نسيت العالم كله !!» .

«لكن - لا أعرف أنك كنت متزوجة !!» .

«لأى سبب كنت ستعرفين، قبل ميلادك بزمين يا عزيزتى،

شارلى كان عمره عشرين عاماً، وذهب للحرب، الحرب

العالمية الأولى، والدنيا رفضوا، لكننا تزوجنا قبل إبحاره

لفرنسا بأسبوع.» .

أضافت العمة وهى تتناول كوب الشاى «لم يرجع

شارلى !!» لكنك أنت؟ أين زوجك؟ ماذا ليلة ويوم

عسلكم !!» .

إبتسمت مادلين، زوجى !! لولا أثنى حذرة لأغشى على،

الرب لم يخلق الرجال لى!، ثم قالت لعمتها: «لقد ترك لى

رسالة، يعتقد، أنه لا يريد أن يقيم هنا عندما تعودين للمنزل،

لأنه يعتقد أن ذلك يفسد حياتنا معاً، هل تتخيلى ذلك؟

وسنوجد شهر العسل حتى تتحسنى يا عمتى.» .

فاضت عيون العمة بنظرة متشككة وقالت: «لا

لا أتخيله.» .

«يجب أن يذهب جويل إلى ماساشوستش ليوم، كتب

شيئاً عن متابعته لأمر هناك وسيعود الليلة بالهليوكبتر أتصدقين

ذلك؟ كنت على حق يا عممة، من السهل أن تحبى رجل ثرى

مثل الفقير تماماً، يا عمتى وأعتقد أثنى سأساعده عندما ينتهى

من كتابة روايته، هاها !!» .

« أخيراً إكتشفت » .

« وليس هذا كل ما إكتشفته » .

قالت العجوز: «أنا متعبة وبجاجة لإغفاءة، أنت لم تفهمين يا عزيزتى؟» .

« طبعاً، فهمت، دعيني أساعدك » .

أمضت ساعة فى إعداد سرير عمته، التى غرقت فى النوم سريعاً، بدت بصحة أفضل مما كانت، وهبطت مادلين السلم . هناك أمور يجب إنجازها، لقد جاء أكثر من خمسين زائراً لتقديم التهانى أمس، هناك أواني، كئوس، أكواب، منافض سجائر، الأرضية بحاجة لتنظيف، والمطبخ !! .

عند الظهر إنتهت من واجبها المنزلى، لمع المنزل ذهب لتجد عمته جالسة مستريحة إلتفتت إليها بتعبير الرضا على وجهها، عبر الصالة حيث كانت غرفة نوم مادلين ذات يوم؛ إسترجعت ليلة العرس وضحكت، جويل ومادلين! تذكرت بدلتته وقالت لنفسها الزوجة الصالحة تنظف حاجيات زوجها، صحيح؟

بالعجائب مايفعله الحب، أحضرت حقيبتها والچاكت والبنطلون والجوارب، وأفرغت جيوب الچاكت ونظفت كل ملابسه، وجدت خطابات قديمة مفتوحة، مذكرات شخصية، عملة نقدية، مناديل تساءلت هل الزوجة الوفية تقرأ رسائل زوجها؟ أراحت نفسها، لماذا لا؟ لكن ليس الآن. جمعت كل تلك الأشياء ووضعها فى جيب المربلة، إنعكست تقطية هائلة أمامها على سطح المرأة، مادلين فيرمونت، وهبطت السلم، كان ذهنها يتراقص بالإثارة ومتعة ليلة عرسها وهى تعبر الشرفة ويدها كوب شاي مثلج، تسلقت أحد المقاعد وأزلت ستارة القفص، صاح البيغاء «كم الساعة» وأضاف

« إقتلى القطة » وتظاهر بالموت ضحكت مادلين «لن تستغفلنى مرتين!!» وفتحت باب القفص. فى طريقها للمنزل، تحرك أمامها ظل، مسحت عيونها، امرأة طويلة كانت تمشى ببطء ناحية السياج وتوقفت هناك، على وجهها تعبير واجم «ياماما!» صاح البيغاء، وطار ليدور حولها، وهبط على كتفها .

غمغمت مادلين «ماما فعلاً، مجرد كائن يجيبها، وهى حاتى» فى لحظة كانت تحظو ناحيتها ومعها كوين من الشاي المثلج، إبتعدت المرأة، لكن عندما صاح البيغاء توقفت وإنتظرت، نادتها مادلين «سيدة فيرمونت، أنا مادلين كاربونيو، أنا آسفة مادلين فيرمونت، تفضلى شاي» .

«لا أريده ولا أحبه» عن قرب بدت فى بداية الخمسينات، ملابسه مهندمة، مع طيف جمال ذابل، خدود لامعة، شعرها أشهب، فستانها رمادى وسيم وليس غالياً، لم تكن عدوانية كأمس .

«إذن تزوجت إبنى؟» .

«أظن ذلك، أتمنى ألا يضايقك، لقد ذهب للعمل فى الصباح» .

«ذهب لأى شىء؟» كانت المرأة مبتسمة فرحاً .

كررت «للمعمل، لم أفهم، أمس جاءنا ضيوف من الشركة من مقرها الرئيسى، واليوم ذهب جويل قال لمتابعة شىء فى قسم التوزيع» .

لمعت عيون المرأة «إذن فعلاً يقوم بشىء مفيد!! وأنت مسئولة عن كل ذلك؟ يا إلهى، طيلة أعوام كنت أحاول دفعه لتولى كل الأمور، حسناً يا شابة، أظن أنتى أخطأت فى حقك

أمس ، فات الأوان للترحيب بك ضمن العائلة .»

«لا يهم» ضحكت مادلين وهى تعبر السياج قبلت خنودها الناعمة، كانت عيون حماها ملىء بالدموع، وأدركت أن هناك الكثير لتبادل الحديث معها، ومع زوجها بخصوص أمه !
دعتها «لماذا لا تجئين للمنزل لتقابلى عمتى ماري؟ كل ما ستقومين به هو المشى للمنزل المجاور وتعبرين السياج» .

نظرت السيدة فيرمونت إلى السياج الفاصل بينها وهزت رأسها «لا، لا أظن ذلك، إبنى وضع السياج ثم إنتقل للجانب الآخر، يبدو أن هذه دلالة، لم يعد لى نية للتدخل فى حياته؛ أتمنى أن تكونى سعيدة معه يا مادلين» .

قاطعتها «من فضلك نادىنى مادى، الجميع ينادونى إلا إذا كانوا غاضبين منى» .

«وهو كذلك يا مادى، لكن أحذرك، لا تتركه يبعد عنك لأى سبب، وإلا سينقلب عليك!! هيا الآن، يا بيغاء» .

طيلة حديثها لم يلحظ أحد القطعة التى إختبأت وسط الحشائش، وقفزت فجأة على البيغاء فوق كتف مادى، لكن البيغاء بخبرة أربعين عاماً، طار مباشرة فى الهواء ثم عاد على ظهر القطعة، ونقرها وأنشبت القطعة مخالبها فى قبض مادلين ثم هربت للمنزل. دار البيغاء حولها ليخيف القطعة نسيت مادلين ماخططت لتقوله للسيدة وضحكت السيدة فيرمونت «البيغاء سيزعجه القطعة كثيراً، حتى يقف كل منها فى موضعه يا مادى، ولن يحدث بينها متاعب، لا يختلفان كثيراً عن الزوجين» .

«ألا تنوين البقاء هنا لفترة يا سيدة فيرمونت؟» .

«لا أدرى يا مادى، أريد أن أتحدث مع إبنى، حديث

حقيقى، شىء لم نفعله من قبل، لكن الأمور» .

«الأمور ستتحسن، أعرف أنها ستكون أفضل إبقى على الأقل ليوم أو ليومين» .

«لو صممت يا صغيرتى سيكون صعباً، صعب إحضار خادمة أو طاهية، وصعب أن أرعى نفسى» توقفت للحظة «مادلين إسم محبوب، قال لى أحدهم أنك فقدت أبوك وأمك معاً، إعتبرينى أمك!» إبتسمت مادلين .

قامت العمة وإرتدت ملابسها وكانت بجوار التليفون عندما عادت مادلين، وقالت العمة: «لا أستطيع النوم بالنهار، سأدعو صديقاتى يا مادى» .

«طبعاً، يمكننى إعداد شىء لهن» وذهبت إلى المطبخ .

فى تمام الساعة الثانية حضرت سيدات نادى البريد وقلعت لهن مادى الشاى والسندوتشات، وقالت السيدة ماهونى: «يا إبتنى، كم كبرت يا مادلين! وتزوجت؟ لا أصدق هذا» .

قالت مادلين لنفسها: أنا نفسى لا أصدق!! تركنى منذ ست ساعات! كيف كنت أظن أننى أكرهه!!

دق جرس الباب، صاح البيغاء، وقالت مادلين: «قادمة، أنا قادمة» وذهبت حافية القدمين كان ساعى البريد خارج الباب .

«رسالة خاصة، وقعى هنا يا مادلين» سلمها حزمة رسالة، ونصف دسنة بيانات دعابة .

بحركة خفيفة تذكرت أشياء زوجها التى أفرغتها من چاكتته، ويجب أن تستدعى المنظف، كان على المظروف «تحذير ثانى» ليس لديها سنت واحد فى البنك، حتى دفع لها

هنرى عملتها الأخيرة قبل أن تفض المظروف سمعت السيدة
ماكفرى تقول : « لو كانت فاتورة أتركها لزوجها » .

فضت المظروف بعناية، كان الخطاب مرسلًا من شركة
تحمل إسم چينستوك «وظيفة مديرة منزل لوقت إضافى فى
جزيرة جلورى» تركته بجوارها، تناولت الفاتورة ودرستها، لم
يتغير شىء نظرت للمرة الثالثة فى قة الفاتورة، التاريخ الموضح
لمدة الخدمة كان ١٤ أغسطس؛ يومين قبل أن تقضى هى
وجويل الليلة فى منزل موريشون، أرعد عقلها؛ وتذكرت كل
شىء.

تراكمت الوقائع وبدأ عقلها يحلل؛ يومين فقط قبل الذهاب
للجزيرة، كان قد تعاقد مع طاقم كامل للخدمة فى جزيرة لم
يسمع عنها من قبل؟ وضعت الفاتورة جانباً وتناولت مظروف
آخر، فاتورة أخرى تطالبه بمبلغ فلكى قيمة «رحلة جوية
لشخصين من جزيرة جلورى يوم ١٥ أغسطس، تعليمات
خاصة: عند الفجر إبعدي عن رأس يسدل، فى حالة المتاعب،
إتصل بمستر جويل فيرمونت، رقم تليفون لاكونيا
٥٥٥٦٥٠٥!!» .

كان المظروف الثالث فخمًا، فضت الورقة «مدينة
لاكونيا» كان مكتوباً على رأس الورقة رخصة زواج إسمها
عليها، تاريخها ١٣ أغسطس!!

فجأة أدركت مادلين أنه يوم أسود حقاً!! داخل المنزل
كانت سيدات نادى البريدج بشرتون، وفنت وهى شاردة،
تسترجع كل الحوادث؛ التى أدت إلى يوم قدرها، كانت تخطو
فى الشرفة، عندما إفتتح الباب الأمامى وسمعت صوتاً مرحاً
ينادىها «مادى؟ أنا هنا!» .

لا تجعلينه يبعد لأى سبب! أمه قالت هذا جويل فيرمونت،
غير العادى! لقد خزن أشياء كثيرة فى منزل موريشون قبل
ذهابهم بيومين ورتب كل شىء، للإلتقاذ الجوى قبل ذهابهم
بيوم، كل هذا حتى قبل وقوع العاصفة، العاصفة، ومرض
عمتى مارى؟ لكن كيف نسج كل تلك الفخاخ؟ عمتى على
سرير موتها، يا مادلين!! لذا يجب أن نتزوج الآن، صحيح!!
الرجل المغرور، المتغطرس!! لم يتغير شىء! هو الرجل الذى
أحبه والذى أكرهه!! لذا سأطرده وألقيه للوحوش!!

قالت من تحت ضرسها «ستقف فوق جشنى» هو رجل
جيد، وفنائة عمرها سبعة وعشرين عاماً لن تجد مثل تلك
الفرصة، لكن لو تركته يمضى بها لن أسيطر عليه!! وأعانى!!
هزت رأسها وهيات وجهها لتواجهه فى حالة طبيعية،
وتكبح غضبها، وخطت ناحية غرفة المعيشة، كان المذنب واقفاً
بجوار العمة مارى فى حوار عميق إنقطع عندما دخلت .

ها أنت يا عزيزتى «خطا ناحيتها وقبلها إبتعدت عنه وقالت
عمتها «أه يا إبتنى» وغرقت فى مقعدها .
سألها «أنا - هل قضيت يوماً طيباً؟» .

«أظننى بحاجة للحديث معك» وهى تنقر المظاريف
بأصابعها .

واصلت مادلين حديثها «أتصدقين يا عمتي أننا وقعنا في يد واحد من كبار المخادعين في الحضارة الغربية!!» .

«آه؛ لا يجب أن أقول هذا، إنها - بداية صغيرة لتبدأي معه؛ في المستشفى عندما عقد قرانك على جويل، لكن ليس صعباً أن تنظري كيف تمضي الأمور، وأنا لست مستعدة للتدخل، بالإضافة تعرفين كم كنت أتمنى أن أراك متزوجة» .
«عمتي! عمتي العزيزة جداً، العظيمة!! نظرت العمه إليها، ووقفت على قدميها وقالت: «طالما لدى إقتناع عميق بفكرة أن الزواج شركة بين إثنين فقط، لذا سأترككم تشاجران-» .

قاطعتها مادلين «نتناقش» .

أجابت عمته «نعم، طبعاً، مناقشة، مهما كان موضوع المناقشة، أفهم أن والدة جويل في المنزل المجاور، سأذهب إليها لأتحدث معها» .

حذرتها «إمشي بحذر، هذا السياج الأحمق في طريق الجميع، وربما مع الوقت سيؤدي به إلى باب المحكمة!!» .

رد جويل «محاكمة عادلة، هاها!! المتهم مذنب حتى تثبت براءته، أليس هذا أسلوبك؟» .

كانت نظرات عيون الزرقاء تنذر بالرعد الغاضب، خرجت العمه من الغرفة بسرعة غير متوقعة من عجوز خارجة لتوها من المستشفى .

واصل حديثه «أنت زوجتي لست قاضية الزوج لا يمكن إستجوابه بغير إرادته!» .

هددته «الأفضل أن تتقبل بإرادتك، يا خبيث، لقد وضعت الغمامة على عيونى!!» .



الفصل العاشر

الإعتراف

إستترخت العمه ماري في مقعدها الخاص، وهي تشرب الشاي الذي قدمته مادلين لها «الآن يا عزيزتي، ماهي المشكلة؟» .

«أعتقد أنني بحاجة لجمع مزيد من الدلائل» أجابتها مادلين وهي واقفة في منتصف الغرفة .
«حسناً، أنا» بدأ جويل يتحدث .

أمرته «اش اش! الآن، يا عمتي لماذا دخلت المستشفى تحديداً؟» .

أحنت عمته رأسها، تماماً مثل البيغاء، هكذا فكرت مادلين بجنون «لماذا، مؤكد أنك نسيت، ألا تذكرين؟ الطيب بيرتون قال يجب أن أعمل فحص سنوي، وأفضل شيء أن أدخل المستشفى ليومين كل عام حتى يقوموا بكل تلك الفحوصات» .

«جميل، يا إلهي! كله بسيط، ويومى الثلاثاء والأربعاء ها اليومين اللذين حجزناهما» .

أومأت عمته بسعادة، وأنتهت شرب الشاي .

«الآن تلومنى على أخطائك، ليس هناك أعمى من لا يريدون أن يرون أمامهم!».

«هذا كفاية الآن، إنته، سابقى فى الطابق

الأرضى!!».

«نعم، لم يتم تنظيفه جيداً اليوم، يجب أن تقضى وقتاً أطول مع «النظافة» لا «المراجهة» وتحترمين وضعى، أنا رب العائلة الآن».

صاحت «رب العائلة، لماذا؟ خلال عشرين دقيقة سأسلمك رأسك فى سلة!!».

قاطعها «بأى تهمة».

أعلنت «إرتكاب مؤامرة وخدعة للزواج منى، أنت يا جويل فيرمونت، أتذكر يوم الرابع عشر من أغسطس؟».

«هل هو عيد ميلاد الببغاء؟».

«كان قبل ذهابنا للجزيرة بيومين، ظهراً أو ليلاً، يا جويل فيرمونت، ألم تقم بعمل ترتيبات مع شركة جونستوك لتوفير لك حقائب للنوم وأخشاب تدفئة وخور—وأشياء أخرى—وتوصلها لمنزل موريشون؟».

«وإن قلت لم أفعل؟».

صاحت وهى تخرج الأوراق من جيبها وتمزقها نصفين «معى الفاتورة».

«قرأت رسائلى؟ أظن أن العروس الجديد يجب أن تثبت إستحقاقها للثقة بعد عدة أسابيع!».

«لا تراوغ، أجب على السؤال!!».

«أنا أسأل فقط ولا أجبب لذا لن أتحدث».

«إذن تعترف أنك فعلت؟».

«نعم أعترف، ماذا حدث لتلك الفتاة الحلوة المحبوبة التى تزوجتها؟ لا أدرى ما أراه أمامى الآن إمراة سليطة اللسان!! بالتأكيد لا تريدن تبديد الليلة بدون راحة!».

فقط أجب عن سؤالى يا حكيم، أليس صحيحاً أيضاً أن طائفة الإنقاذ، لم تكن كذلك؟ رتبت ذلك من قبل لتجىء لإرجاعنا؟».

فعلت كل هذا؛ إعتبرت ذلك تصرف صحيح فى وقته الآن أتأمل وأجد أنه ربما كان خطأ».

صاحت «إذن كل شىء كان مصنوعاً!».

«ليس كل شىء، العاصفة لم تكن ضمن خطتى أبداً، وفقدان قارب هنرى».

«إستمتعت بإهانة هنرى، أليس كذلك؟ كنت سعيداً بتحطيم قاربه!! ولم يفعل لك ما يضيرك أبداً!».

«طبعاً لم يضرنى، كان يحاول سرقة فتاتى أى إنسان عاقل لا يقبل ذلك!!».

استعادت أعصابها المنفلتة «أنا—».

«الآن يا مادلين كفى، هكذا دائماً عندما تفقدن أعصابك».

«لست مجنونة، أنا فقط— مجنونة! تجلس هكذا وكأن الزيد لن تظهر أثاره على فك!! وطيلة الوقت تخطط لموضع فخاخك لتأخذنى إلى الجزيرة».

«لنكن فى منتهى العدل والوضوح» إعتدل فى جلسته ليقترب منها، وتراجعت مبتعدة عنه «كما أتذكر أنت التى أخذتنى معك للجزيرة!».

«لا يهمنى!» خرج الببغاء من القفص ونق «سفينة

ضالة، رفاق، الصغيرة الرقيقة!» وأكملت حديثها «أنت يا جويل فيرمونت الذى أخذتني للجزيرة لتقويض سمعتي، أليس كذلك؟».

«أظن هذا صحيح، ربما كانت فكرة جيدة وقتها، كل ماضى، أخذتك للجزيرة لأسوى أمرى معك، وإنهزرت فرصة مرض عمك لأتزوجك، ماذا تظنين ماكنت أقدر أن أفعله؟ سمعتك فظيعة بأنك تتراجعين فى الدقيقة الأخيرة، لو خطبتك بالطريقة العادية الطبيعية كنت ستواصلين هربك يامادلين فيرمونت، عمى قالت لى كل شىء عن عاداتك، وهذا ماتوصلنا إليه الآن».

«لكننى وصلت إلى ماأنا فيه الآن، لأن رجلاً مخادعاً ناعماً جذبنى بطريقة لم يعرفها العالم أبداً!!».

وأضافت بعد لحظة صمت بصوت متهدج ناعم «ولم أنتهى بعد من سرد مكائذك، رخصة الزواج ماذا عنها، كانت فى جييك عندما ذهبنا إلى المستشفى! وأعددتها قبل رحلة الجزيرة؟ ماذا عن ذلك؟».

«ربما هذه عادتى، أهل رخصة خالية من الإسم فى جيبي لأضع إسم العروس فى الوقت المناسب؟».

«لا تقل هذا، كل الرخص يجب أن تملأ أمام الموظف! أنت خدعتنى يا جويل فيرمونت، والآن عمى مارى تتوقع إنجاب أطفال يرحون حول المنزل و—».

«أتقولين أنك لا تريدين زواجى؟».

«أنا— لا، أقصد— نعم، نعم أنا لا أريد زواجك».

«فقط لأننى رتبت الزواج بطريقة سلسلة ناعمة، لماذا تعارضين؟ الزواج دائماً يحتاج إلى ترتيب؛ منذ قرون!! أشعر

شعوراً مؤلماً لأننى اضطرت لإصطيادك يامادلين، لكننى أتمنى ألا تتراجعين، أكره فكرة الطلاق، لسنا ومازلنا فى صبيحة العرس!!».

وضعت يديها خلفها وحدقت فيه «وأنا أيضاً، أكره الطلاق، أقصد، لا أنوى طلاقك، ربما أقتلك، لكن الطلاق لا، لن تخرج بسهولة، صدقنى!!».

«الآن تمت تسوية أهم نقطة، ماذا عن وضعى ضمن العفو العام يامادلين؟».

«أنا ألعنك! أنتوقع أننى أشاركك منزلاً بعد ذلك، يا مخادع!» إندفعت ناحية الشرفة وإستندت إلى سورها، بينما صاح البيغاء «يا صغيرة يا لطيفة، لا تكونى مجنونة!».

همست لنفسها «طائر حكيم، حكيم، طائر حكيم، لن أصنع منك حساء أبداً!!».

إبتسمت مادلين للبيغاء وإتجهت إلى النافذة وأطلت منها، كان جويل جالساً بجوار مائدة المطبخ، يتلاعب بفنجان قهوته.

عندما عادت مادلين من الباب الخلفى قال جويل «حسناً، لقد أخذت منك كثيراً».

ردت بهدوء «نعم نسيت أنه منزلى الذى أهرب منه».

«نحن بحاجة لمزيد من الحديث؛ لم أقصد هذا!!».

«طبعاً يا جويل».

«تمام، أعرف أن شيئاً يحدث، ماذا عن الآن؟».

«لماذا، لا شىء، لا شىء يحدث، أنت تساءلت عنى يرتدى سراويل النساء هنا—».

«أنا، هو أنا!!».

«نعم يا عزيزي» جاءت لتجلس قبالة «لتي سلطة
 وصلاحية لأنك طفل مدلل، يا جويل» إستقرت كلمتها على
 المائدة بينها كأنها قبلة زمنية ستفجر توأ، حدق جويل فيها
 وقال: «أمي، أنت تحدثت مع أمي!!» أومات بالمواقفة،
 «أمضت ساعات تسم عقلك ضدى، تكرهنى! يا إلهى،
 كنت أتمنى ألا تحضر هنا، لا أظن شيئاً أسوأ من ذلك، أن
 تعيش أمي بجوارى لا شيء!!»
 «تحدثت عنك بكل خير فيما عدا - حسناً، بالتأكيد لديك
 عادات سيئة!!»

تورد وجهه وهو يتقدم ناحيتها يضع يديه فوق كتفها، ويهزها
 «لماذا، اللعنة، أنتظنين لماذا تحملت كل هذه المتاعب
 لأتزوجك؟ لماذا؟»

«ياله من سؤال جيد» وهى تهكم «من أجل أموالى؟
 ليس لدى أى مال»

«إسمعى جيداً؛ تزوجتك لأننى أحبك»
 تفكرت مادلين، أخيراً هذه هى الكلمة، أحبك، لا يهم
 تلك المناقشات، ولا تلك الأعمال المخادعة، هذه الكلمة أنا
 أحبك تستحق كل معاناتها، تزوجتك لأننى أحبك قالها فعلاً!!
 وكذلك أنا، يا جويل، قالت لنفسها، وهكذا أنا، والآن
 ماذا؟ إجتاحتها الغفران والتسامح؟ دعى المخادع لا، كلمة
 خاطئة، المنتخذ؟ هو يستحق فقط قدر ضئيل من المهجران لأجل
 إعادة وعيه!!

«طالما قلبت هذا يا جويل» وبدأت تجمع الأطباق الغير
 نظيفة، جذب معصمها.
 «لا شيء من ذلك، لن أجعلك خادمة مطبخ»

«آه؟» نظرت إليه وقال: «أعرف أنك تنسجين خطأ
 للإنتقام، لكن إسمعى ياسيدتى!! لقد وقعت فى حبك منذ
 أول لقاء فى تلك الليلة وأنت تقفين فى شرفة منزلى، عندما
 جئت تبخشين عن جويل فيرمونت!! إنبهرت بك أتذكرين؟»
 قالت لنفسها حتى أنا وقعت فى حبه ليلتها!! ثم سمحت
 لهذا المتغطرس لإيقاعى! كم وقتاً ضيعناه، حدثت فيه والحب
 يشع من عيونها.

أزعجها البيغاء وهو يرفرف بجناحيه فوق كتفها، وواصل
 جويل حديثه «تحدثت مع العممة مارى مراراً؛ دائماً كان
 سلوكك مع الرجال غمطياً، تقعين فى حب أحدهم، ويبدأ
 طريق الإرتباط، ثم تهربين، حسناً، لم أكن لأتركك تهربين
 منى، أيتها السيدة الصغيرة، لذا أعددت حلة لإفقادك توازنك؛
 كلها فكرة عمتك، السيدة اللطيفة!!»
 «فكرة عمتى الحبيبة!!»

ضحك «عمتك الحبيبة؛ فى عدا ما وقع فوق الجزيرة،
 كلها فكرتى أنا! وتركت لعمتك رسالة!! غلطتى أن العاصفة
 دفعت خططى أبعد مما أتوقع!!»
 تنهدت!! «آه يا أنا!!»

جذبها «هيا نصعد السلم، إسترخى هناك، أريد أن
 أحدثك»
 «تتحدث؟»

أرجو أن لا ترتدى هذا السويتر»
 «آه؟»

«ياه، ألا يمكن تسوية الأمر!!»
 بدأت تتحدث «لكن -»

« أحبك أحبك حباً ينير دنياى ويملك عقلى ولا أسمع سوى
أنغامه ، حباً يفوق حبك لى !! » .

بعد فترة قالت له : « حدثنى عن أمك » .
« ستسافر بالسلامة إلى بوسطن اليوم ، أعرف أننى يجب أن
أفعل شيئاً —

« إذن لو أنك تحبنى كثيراً ، لا تغضب منى ، خصوصاً
عندما أفعل شيئاً لأساعدك ، لقد دعوت أمك للبقاء معنا مدة
الأربعة أسابيع القادمة ، وستجىء هنا غداً » .
« ماذا ! » .

« دعوت أمك لتقيم معنا وأمرت بإزالة السياج غداً » .
« لماذا أيها الشيطانة المجنونة الصغيرة !! فعلت ذلك فقط
للإنتقام منى !! لا تثيرى ضجة !! لا نريد إيقاف العمة ؟ » .
وهبط ضوء القمر ، وسطعت ضياؤه عبر النافذة ، وشملت
مشاعر الحب . الفياض الغرفة ، وللمرة الأولى فى حياتها تتيقن
مادلين أن من يحاول الوقوف فى وجه الحب ، مجنون ؛ ومن يريد
إطفاء ضوء القمر مجنون ؛ فقط نحاول رؤية الوجه الآخر ،
الجميل للعالم .